دراسات في علم القراءات

د. عادل الغرياني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دراسات في علم القراءات

د.عادل الغرياني

رئيس قسم التفسير بجامعة خاتم المرسلين العالمية، والأستاذ المساعد بقسم القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية مينسوتا، رئيس قسم علوم القرآن بجامعة الهداية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مقدمة

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، وصلاةً وسلامًا على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعدُ:

فهذه دراسات ومحاضرات استخرنا الله تعالى في جمعها لإلقائها على طلاب قسم القرآن الكريم والقراءات، جامعة مينسوتا، وجامعة خاتم المرسلين وهي من الأهمية بمكان، فلا بد للمتخصص في علوم القرآن أن يحيط إجمالًا بعلم القراءات، وتفصيلًا بعلوم القرآن، فمن العيب أن تجد أستاذًا في قسم القرآن، ويجهل علم القراءات، وهذا مما دعاني لجمع وتأليف أكثر الموضوعات أهميةً، كما يقال: ما لا يسع المتخصص جهله، فهي تلم بعلم القراءات، فجاءت على النحو التالي: وهي

مصطلحات ومفاهيم.

المراحل التي مرت بالقراءات.

الفروقات.

الأحرف السبعة.

القراء العشر.

القراءات الشاذة وأصحابها.

أصول القراء.

المصحف العثماني وعلاقته بالقراءات.

توجيه القراءات.

شبهات حول القراءات.

صور من حياة القراء.

تطبيق عملي.

فما كان من توفيق فمن الله وما كان من تقصير فمني والشيطان.

والله من وراء القصد.

عادل الغرياني

تمهيد:

علم القراءات هو فرع من علوم القرآن يُعرف به كيفية نطق كلمات القرآن الكريم، وكذلك طرائق أدائها، سواء كان ذلك اتفاقًا أم اختلافًا، مع إرجاع كل وجهٍ من وجوه تلك القراءات إلى صاحبه، وهذه القراءات هي قراءات توقيفيَّة، وليست باختيار الناس على عكس ما رأى الزمخشري وجماعة معه في أنها قراءات اختارها الفصحاء والبلغاء.

تعريف القراءات:

القراءات لغةً هي جمع قراءة، وهي مصدر الفعل قرأ، قرأت الشيء وقرَّأته الشيء؛ أي: جمعته وضممتُ بعضه إلى بعض.

قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٠: كل شيء جمعته فقد قرأته، وسُمي القرآن قرآنًا؛ لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والصور بعضها إلى بعض.

اصطلاحًا:

عرَّفها جماعة من الأئمة، ومن أبرز التعريفات: تعريف أبي حيان الأندلسي في البحر المحيط 14/1: هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن.

وقال الزركشي في البرهان ٣١٨/١: والقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات في اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرها.

وقال ابن الجزري في منجد المقرئين ص٣: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة.

وقال عبدالفتاح القاضي في البدور الزاهرة ص٧: هو علم يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا، مع عزو كل وجه إلى الناقلة.

وقال الدكتور وليد بن إدريس المنيسي حفظه الله: خلاصة هذه التعريفات وما قاربها أن علم القراءات علم يشتمل على ما يلي:

كيفية النطق بألفاظ القرآن، وكيفية كتابة ألفاظ القرآن، ومواضع اتفاق نقلة القرآن ومواضع اختلافهم، وعزو كل كيفية من كيفيات أداء القرآن إلى ناقلها، وتمييز ما صح متواترًا وآحادًا مما لم يصح مما رُوي على أنه قرآن.

وعرَّفها دكتورنا الشيخ: فقال هو علم يبحث في كيفية النطق بألفاظ القرآن، وكتابتها ومواضع اتفاق نقلتها، ومواضع اختلافهم مع عزو ذلك إلى ناقله، وتمييز متواتره من آحاده الصحيح، ومما لم يصح مما روي على أنه قرآن؛ "أثر اختلاف القراءات الأربعة عشر".

القراءات والحكمة من تعدُّدها:

قال شيخُنا الأستاذ الدكتور وليد حفِظه الله في كتابه أثر اختلاف القراءات الأربعة عشر في مباحث العقيدة والفقه: كان لتعدد القراءات أهمية عظيمة، واشتمل تعدُّدها على حِكم جليلة.

قال القسطلاني: لم تزَل العلماء تستنبط من كل حرف يَقرأ به قارئ معنًى لا يوجد في قراءة الآخر ذلك المعنى، فالقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط ومحجتهم في الاهتداء الى سواء الصراط؛ لطائف الإشارات ١/١٧١.

ذكر شيخنا حفظه الله ما ذكره ابن الجزري، فقال: مِن الحكمة في تعدد القراءات:

التسهيل والتخفيف على الأمة.

بلاغة وكمال الإعجاز.

وغاية الاختصار.

القراءات على كثرتها يَصدُق بعضها بعضًا، ويشهد بعضها لبعض، وكله على نمط واحد في بلاغتها.

سهولة الحفظ وتيسير النقل.

إعظام أجور هذه الأمة.

بيان فضل لهذه الأمة وشرفها على سائر الأمم.

كان تنوع القراءات حافزًا على حفظ أسانيد القرآن؛ انظر: نظم المتناثر ص١١١بتصرف.

شروط صحة القراءة:

وضع العلماء شروطًا لصحة القراءة وقبولها، والجزم بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قرأ بها، ولم تُنسخ في العرضة الأخيرة، وهي:

– التواتر أو صحة الإسناد.

– أن توافق رسم أحد المصاحف العثمانية التي أرسلها عثمان إلى الأمصار.

– أن توافق وجهًا من وجوه اللغة العربية.

قال ابن الجزري:

وعليه فمتى تحقق في القراءة هذه الشروط الثلاثة، حُكم بتواترها كما في القراءات العشر حصرًا، ومتى خالفت القراءة أحد هذه الشروط، حُكم عليها بأنها قراءة شاذة، وهو ما زاد عن القراءات العشر.

*** فوائد اختلاف القراءات:**

لاختلاف القراءات حكمٌ وفوائدُ نذكُر منها:

١. تيسير حفظ كتاب الله تعالى على كافة العرب.

٢. جمع الأمة المسلمة على لسان واحد يوحد بينها وهو لغة قريش.

٣. بيان حكم مجمع عليه من الأحكام الشرعية؛ مثل: (وله أخ أو أخت "من أم") سورة البقرة (٢٢٢).

٤. الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين؛ مثل: (حتى يطْهرُن – حتى يطَّهَّرن)، فإنهما أفادتا حكمين، الأول: عدم مس الحائض حتى يحصل لها الطهر بانقطاع الحيض، والثاني: لا يقربها زوجُها حتى تغتسل وتتطهَّر.

٥. ترجيح حكم اختلف فيه؛ كترجيح اشتراط الإيمان في قراءة: ﴿ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء: ٩٢] في كفارة اليمين.

٦. الدلالة على حكمين شرعيين في حالتين مختلفين؛ مثل: الاختلاف في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة: ٦]، فالفتح يفيد الغسل في الأمر المطلق، والكسر يفيد المسح على الخفين.

٧. دفع توهُّم ما ليس مرادًا؛ مثل: قراءة ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة: ٩]، و(فامضوا إلى ذكر الله) دفعت قراءة (فامضوا) توهُّم وجوب السرعة إلى صلاة الجمعة؛ لأن المراد: تهيؤوا لها، وأقبلوا عليها.

٨. بيان لفظ مبهم على البعض؛ مثل: ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ [القارعة: ٥]، وقراءة (كالصوف المنفوش)، فبيَّنت القراءة الثانية أن العهن هو الصوف.

٩. توضيح أمور في العقيدة؛ مثل: قراءة ﴿ وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢٠]، و(مَلِكًا كبيرًا)، فأثبتت القراءة بالفتح رؤية الله تعالى يوم القيامة.

١٠. ما يكون حجة لترجيح قول لبعض العلماء؛ كقراءة: (أو لمستم النساء) المائدة(٦) فاللمس يطلق على الجس والمس.

١٢. ما يكون حجة لقول بعض أهل العربية؛ كقراءة "والأرحامِ" بالخفض في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [النساء: ١].

١٣. الدلالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما نقله عن ربه عز وجل.

١٤. الدلالة على إعجاز القرآن على كل حرف ووجه ولهجة ولسان.

فائدة: القراءات كلها على اختلافها كلام الله عز وجل، ولا مدخل للبشر فيها، ولا أثر للقراء، بل كلها نازلة من عند الله تعالى مأخوذة بالتلقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل من قرأ حرفًا من هذه الحروف فقد أصاب، قال صلى الله عليه وسلم: (فأيما حرف قرؤوا عليه، فقد أصابوا)؛ مسلم.

أنواع القراءات:

أنواع القراءات من حيث السند ستة:

١- المتواتر:

وهو ما رواه جمع عن جمع لا يُمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم، مثاله: ما اتفقت الطرق في نقله عن السبعة، وهذا هو الغالب في القراءات.

٢- المشهور:

هو ما صحَّ سنده بأن رواه العدل الضابط عن مثله، وهكذا، ووافق العربية، ووافق أحد المصاحف العثمانية، سواء كان من الأئمة السبعة أم العشرة، أم غيرهم من الأئمة المقبولين.

وهذان النوعان يقرأ بهما مع وجوب اعتقادهما، ولا يجوز إنكار شيء منهما.

٣- ما صح سنده:

وخالف الرسم أو العربية، ولم يشتهر الاشتهار المذكور.

مثاله قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، قرئ (من أنفسكم) بفتح الفاء، وهذا النوع لا يقرأ به ولا يجب اعتقاده.

٤- الشاذ:

وهو ما لم يصح سنده؛ مثاله قوله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ [يونس: ٩٢]، ورد بطريق غير صحيح أنه قُرئ، (فاليوم ننحيك) بالحاء المهملة بدل الجيم.

٥- الموضوع:

وهو ما ينسب إلى قائله من غير أصل، مثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]، افترُي على أبي حنيفة أنه قرأ: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)، وكيف يخشى الخالق المخلوق؟ ولماذا؟

٦- ما يشبه المدرج من أنواع الحديث:

وهو ما زيد من القراءات على وجه التفسير، مثاله قوله تعالى: ﴿ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ [المائدة: ٨٩]، قرأ ابن مسعود (ثلاثة أيام متتابعات).

فروقات:

الفرق بين القرآن والقراءات:

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المعجز المتعبد بتلاوته والمنقول إلينا نقلًا متواترًا، والمبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس، وعليه فالقرآن الكريم هو الوحي الذي أنزله الله عز وجل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، ونقل بالتواتر.

فهل هناك فرق بين القرآن والقراءات، وقد علمنا أن القراءات هي كيفيات أداء كلمات القرآن، مع اختلافها معزوًّا إلى ناقله، ومنها المتواتر والشاذ على ما سيأتي.

بادئ بدء لا بد من القول بأن الإمام بدر الدين الزركشي يرى أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان؛ حيث يقول: واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف، وكيفيتها، من تخفيف وتثقيل.

ومنه أيضًا: التخفيف والهمز والتسهيل والتحقيق، والفتح والإمالة، وغيرها من أوجه الاختلاف، سواء وقع في الأصول أو في فرش الكلمات.

وتابع الزركشي في هذا القول القسطلاني في لطائف الإشارات، والشيخ أحمد بن محمد الدمياطي، صاحب إتحاف فضلاء البشر.

وهذا الإطلاق من الإمام الزركشي يفيد كون القرآن والقراءات شيئين متغايرين مختلفين مطلقًا من كل وجه، وهو إن كان يقصده الإمام فليس بصواب؛ لأن القراءات الصحيحة المتواترة التي تلقتها الأمة بالقبول، ما هي إلا جزء من القرآن الكريم، فبينهما ارتباط وثيق، وهو ارتباط الجزء بالكل.

ولعل ما قصده الإمام الزركشي أن بينهما ارتباطًا وثيقًا، وتداخلًا لا ينكر؛ حيث قال: ولست في هذا أنكر تداخل القرآن بالقراءات، إذ لا بد أن يكون الارتباط بينهما وثيقًا، غير أن الاختلاف على الرغم من هذا يظل موجودًا بينهما، بمعنى أن كلًّا منهما شيء يختلف عن الآخر لا يقوى هذا التداخل بينهما على أن يجعلهما شيئًا واحدًا، فما القرآن إلا التركيب واللفظ، وما القراءات إلا اللفظ ونطقه، والفرق بين هذا وذاك واضح بيِّن.

والذي يبدو أن القرآن والقراءات ليسا متغايرين تغايرًا كاملًا، بل هما متغايران من وجه؛ حيث إن القرآن يشمل مواضع الاتفاق والاختلاف التي صحت وتواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم، والقراءات هي أوجه الاختلاف، سواء كانت متواترة أو شاذة، ومعلوم أن الشاذ لا يصح كونه قرآنًا.

كما أنهما ليسا متفقين مطلقًا، بل هما متفقان من وجه أيضًا، فإن القرآن هو الوحي النازل على النبي صلى الله عليه وسلم، والقراءات الصحيحة المتواترة جزء من هذا القرآن.

ويرى الدكتور محمد سالم محيسن أن القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد؛ أي: إنهما شيء واحد، ودليله أن كلًّا منهما وحي منزل على الرسول صلى الله عليه وسلم.

والظاهر أن هذا الرأي ليس بصواب لما يأتي:

١ – أن القراءات على اختلاف أنواعها لا تشمل كلمات القرآن كله؛ لأنها موجودة في بعض ألفاظه، فكيف يقال أنهما حقيقتان متحدتان.

٢ – أن تعريف القراءات يشمل المتواتر والشاذ، والقراءات المتواترة من القرآن قطعًا، والقراءات الشاذة لا تعتبر قرآنًا، فكيف يقال بأن القرآن والقراءات على هذا الإطلاق حقيقة متحدة.

لذا، فإن المتتبع لروايات الأحرف السبعة، وما تتضمنه من معان ودلالات يجدها تدلل على أن القرآن الكريم هو الوحي الذي أنزله الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، بما يتضمنه من أوجه الاختلاف التي تواترت، وهي الأحرف السبعة التي سبق بيان معناها، وأنها كيفيات مختلفة لأداء كلمات القرآن الكريم، ومن هذه الكيفيات ما نُسِخَ، ولم يتواتر، ومنها ما صحَّ وتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو جملة ما بقي من الأحرف السبعة.

والمدقق في كلمات القرآن الكريم المتواتر، يجد أنها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الكلمات التي لم تنزل إلا بوجه واحد، وبكيفية واحدة، وهي أكثر القرآن الكريم.

القسم الثاني: الكلمات التي نزلت بعدة أوجه، وهي جملة ما بقي من الأحرف السبعة، وهي أوجه الاختلاف التي ينقلها القراء بالتواتر جيلًا بعد جيل.

وعليه، فإن القرآن والقراءات المتواترة حقيقة واحدة باعتبار كونهما وحيًا من عند الله تبارك وتعالى، فإن القراءات المتواترة والاختلاف الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الكلمات جزء من الوحي النازل على النبي صلى الله عليه وسلم.

والقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان باعتبار طبيعة كل منهما، فإن القرآن هو كل ما نزل من عند الله عز وجل، سواء كان بوجه أو وجوه، ونُقل بالتواتر، وهو في الحالتين نزل للإعجاز والبيان، والقراءات بنوعيها المتواتر والشاذ، وهي الكلمات المختلف فيها.

ولذا فإن القرآن الكريم أعم من القراءات القرآنية المتواترة، كما أن القراءات الشاذة ليست من القرآن، والقراءات القرآنية المتواترة جزء من القرآن، ولا تنافي بينهما، فكل قراءة صحيحة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم هي بعض من أبعاض القرآن الكريم، نزلت رخصة وتخفيفًا على الأمة كما ثبت ذلك في أحاديث الأحرف السبعة؛ مقدمات في علم القراءات.

الفرق بين الأحرف والقراءات:

١- إن الأحرف ألفاظ متعددة تجمع على مصحف واحد، أما القراءات فلفظ واحد قد يقرأ على أوجه من القراءات.

٢- الحكمة من تعدُّد الأحرف التيسير على الأمة، أما القراءات فقد تفيد كل قراءة فائدة زائدة ليست في الأخرى؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] قرئ: ﴿ حَتَّى يَطَّهَّرْنَ ﴾، فالأولى معناها: ينقطع حيضهنَّ، والثانية معناها: يغتسلن، وهي باقية ما بقي القرآن الكريم.

الفرق بين القراءة والرواية والطريق والوجه:

القراءة: هي ما نسبت إلى أحد الأئمة العشرة السابق ذكرهم، عاصم مثلًا.

الرواية: هي ما نسبت إلى الأئمة العشرين الذين أخذوا عن القراء العشرة، سواء كان بشكل مباشر، أم بطبقة متعددة، وصولًا إلى القارئ، حفص عن عاصم مثلًا.

الطريق: هي الأحكام الخاصة بكل رواية، فكل طريق له أحكام تجويد مختلفة عن الطريق الآخر، فمثلًا: رواية حفص عن قراءة عاصم من طريق الشاطبية المد المنفصل لديه مثل كلمة (من آمن) تمد ٤ أو ٥ حركات، من طريق آخر غير الشاطبية لنفس الراوي حفص عن القارئ عاصم تمد ٢ حركة فقط؛ أي بالقصر، والمد المتصل كان يمد برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية ٤ أو ٥ حركات، وإن كانت همزة متطرفة (أي آخر الكلمة)، موقوفًا عليها مثل (السماء) تمد ٤ أو ٥ أو ٦......... بينما من طريق آخر غير الشاطبية تمد ٤ حركات وجوبًا.

الوجه: مثاله عند القراء أن يأتي القارئ بوجه كالمد المتصل يمد ٤ أو ٥ أو ٦ حركات إن كانت همزة متطرفة موقفًا عليها، وهذا برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية، ٤ حركات وجه، ٥ حركات وجه آخر، ٦ حركات وجه ثالث، مثال آخر: (صراط) تلفظ برواية خلاد عن حمزة بوجهين؛ إما بالصاد كحفص عن عاصم، أو بالصاد المشمة صوت الزاي (زراط)، فهذا وجه، وهذا وجه، فأنت في الصلاة تقرأ بوجه من طريق من رواية من قراءة.

الفرق بين الصغرى والكبرى:

القراءات الصغرى: هي القراءات السبعة المستخلصة من (متن الشاطبية)، والثلاثة المتممة المستخلصة من (متن الدرة)، لكل راو من الرواة طريق واحد من الشاطبية أي (١٤ طريق)، أما طريق الطيبة، فلكثرة طرقه لا يسلكه إلا المتخصصون.

القراءات الكبرى: هي إتمام القراءات العشر من طريق (متن طيبة النشر)، وقد جمع فيها جميع القراءات المتواترة عن النبي عليه الصلاة والسلام، ويبلغ عدد طرقها ٩٨٠ طريقًا عن القراء العشرة.... هذا هو الفرق.

الفرق بين القارئ والمقرئ:

القارئ: هو مبتدئ إن أفرد إلى ثلاث قراءات، ومتوسط إن نقل أربعًا أو خمسًا، ومنته إن نقل من القراءات أكثرها وأشهرها.

والمقرئ: هو من علم القراءات وأتقنها حفظًا وأداءً.

الفرق بين الأصول والفرش:

* الأصول: مسائل علم القراءات التي لها قاعدة معينة تندرج فيها الجزئيات، مثل: الإدغام، والمد، والإمالة، ونحوها، وقد يخالف بعض القراء القاعدة في كلمات يسيرة.

وقيل: الأصل: الحكم الكلي الجاري في كل ما تحقق فيه شرطه.

* الفرش: الألفاظ القرآنية التي اختلف فيها القراء، والتي لا تندرج ضمن قواعد ومسائل أصول القراءة، وسميت بالفرش لانتشارها وتفرُّقها في السور، فإن فرش الشيء: نشره وبثه.

الفرق بين القراءات والتجويد:

التجويد: معرفة الحروف حقها ومستحقها من مخارج للحروف والصفات والتنوين والمدود...إلخ.

القراءات: يهتم باختلاف القراء في الأصول والفرش.

قال المرعشي في (ترتيب العلوم): "اعلم أن علم القراءة يخالف علم التجويد؛ لأن المقصود من الثاني معرفة حقائق صفات الحروف، مع قطع النظر عن الخلاف فيها، مثلًا يُعْرَف في علم التجويد أن حقيقة التفخيم كذا، وحقيقة الترقيق كذا، وفي القراءة يُعْرَف فخَّمها فلان ورقَّقها فلان".

وقال أيضًا في (جهد المقل): "إن قلت: ما الفرق بين علمي التجويد والقراءات؟

قلت: علم القراءات علم يعرف فيه اختلاف أئمة الأمصار في نظم القرآن في نفس حروفه أو في صفاتها.

فإذا ذكر فيه شيء من ماهية الحروف فهو تتميم؛ إذ لا يتعلق الغرض به.

وأما علم التجويد، فالغرض منه معرفة ماهيات صفات الحروف، فإذا ذكر فيه شيء من اختلاف الأئمة فهو تتميم.

الفرق بين الإفراد والجمع:

الإفراد أن تقرأ كل قراءة على حِدَةٍ، والجمع أن تقرأ بأكثر من قراءة، ولكنهم اختلفوا في كيفيتها؛ قال السيوطي في الإتقان: كَيْفِيَّةِ الْأَخْذِ بِإِفْرَادِ الْقِرَاءَاتِ وَجَمْعِهَا: الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ أَخْذُ كُلِّ خَتْمَةٍ بِرِوَايَةٍ، لَا يَجْمَعُونَ رِوَايَةً إِلَى غَيْرِهَا إِلَّا أَثْنَاءَ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ، فَظَهَرَ جَمْعُ الْقِرَاءَاتِ فِي الْخَتْمَةِ الْوَاحِدَةِ، وَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْعَمَلُ، وَلَمْ يَكُونُوا يَسْمَحُونَ بِهِ إِلَّا لِمَنْ أَفْرَدَ الْقِرَاءَاتِ، وَأَتْقَنَ طُرُقَهَا، وَقَرَأَ لِكُلِّ قَارِئٍ بِخَتْمَةٍ عَلَى حِدَةٍ، بَلْ إِذَا كَانَ لِلشَّيْخِ رِوَايَاتٌ قَرَءُوا لِكُلِّ رَاوٍ بِخَتْمَةٍ، ثُمَّ يَجْمَعُونَ لَهُ، وَهَكَذَا.

وَتَسَاهَلَ قَوْمٌ، فَسَمَحُوا أَنْ يَقْرَأَ لِكُلِّ قَارِئٍ مِنَ السَّبْعَةِ بِخَتْمَةٍ، سِوَى نَافِعٍ وَحَمْزَةَ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ بِخَتْمَةٍ لِقَالُونَ، ثُمَّ خَتْمَةٍ لِوَرْشٍ، ثُمَّ خَتْمَةٍ لِخَلَفٍ، ثُمَّ خَتْمَةٍ لِخَلَّادٍ، وَلَا يَسْمَحُ أَحَدٌ بِالْجَمْعِ إِلَّا بَعْدَ ذَلِكَ، نَعَمْ إِذَا رَأَوْا

شَخْصًا أَفْرَدَ وَجمَعَ عَلَى شَيْخٍ مُعْتَبَرٍ، وَأُجِيزَ وَتَأَهَّلَ، وَأَرَادَ أَنْ يَجْمَعَ الْقِرَاءَاتِ فِي خَتْمَةٍ، لَا يُكَلِّفُونَهُ الْإِفْرَادَ، لِعِلْمِهِمْ بِوُصُولِهِ إِلَى حَدِّ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِتْقَانِ.

ثُمَّ لَهُمْ فِي الْجَمْعِ مَذْهَبَانِ عِنْدَ السَّلَفِ (فِي الْقِرَاءَاتِ):

أَحَدُهُمَا: الْجَمْعُ بِالْحَرْفِ أَحَدُ مَذْهَبَا الْجَمْعِ فِي الْقِرَاءَاتِ عِنْدَ السَّلَفِ، بِأَنْ يَشْرَعَ فِي الْقِرَاءَةِ، فَإِذَا مَرَّ بِكَلِمَةٍ فِيهَا خُلْفٌ أَعَادَهَا بِمُفْرَدِهَا، حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مَا فِيهَا، ثُمَّ يَقِفَ عَلَيْهَا إِنَّ صَلَحَتْ لِلْوَقْفِ، وَإِلَّا وَصَلَهَا بِآخِرِ وَجْهٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْوَقْفِ. وَإِنْ كَانَ الْخُلْفُ يَتَعَلَّقُ بِكَلِمَتَيْنِ كَالْمَدِّ الْمُنْفَصِلِ وَقَفَ عَلَى الثَّانِيَةِ، وَاسْتَوْعَبَ الْخِلَافَ، وَانْتَقَلَ إِلَى مَا بَعْدَهَا. وَهَذَا مَذْهَبُ الْمِصْرِيِّينَ، وَهُوَ أَوْثَقُ فِي الِاسْتِيفَاءِ وَأَخَفُّ عَلَى الْآخِذِ، لَكِنَّهُ يَخْرُجُ عَنْ رَوْنَقِ الْقِرَاءَةِ وَحُسْنِ التِّلَاوَةِ.

الثَّانِي: الْجَمْعُ بِالْوَقْفِ أَحَدُ مَذْهَبَا الْجَمْعِ فِي الْقِرَاءَاتِ عِنْدَ السَّلَفِ، بِأَنْ يَشْرَعَ بِقِرَاءَةِ مَنْ قَدَّمَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى وَقْفٍ، ثُمَّ يَعُودَ إِلَى الْقَارِئِ الَّذِي بَعْدَهُ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْفِ، ثُمَّ يَعُودَ، وَهَكَذَا حَتَّى يَفْرُغَ، وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّامِيِّينَ، وَهُوَ أَشَدُّ اسْتِحْضَارًا، وَأَشَدُّ اسْتِظْهَارًا، وَأَطْوَلُ زَمَنًا، وَأَجْوَدُ مَكَانًا.

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَجْمَعُ بِالْآيَةِ عَلَى هَذَا الرَّسْمِ.

وَذَكَرَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَيْجَاطِيُّ فِي قَصِيدَتِهِ وَشَرْحِهَا: لِجَامِعِ الْقِرَاءَاتِ شُرُوطًا سَبْعَةً، حَاصِلُهَا خَمْسَةٌ:

أَحَدُهَا: حُسْنُ الْوَقْفِ.

ثَانِيهَا: حُسْنُ الِابْتِدَاءِ.

ثَالِثُهَا: حُسْنُ الْأَدَاءِ.

رَابِعُهَا: عَدَمُ التَّرْكِيبِ فَإِذَا قَرَأَ لِقَارِئٍ لَا يَنْتَقِلُ إِلَى قِرَاءَةِ غَيْرِهِ حَتَّى يُتِمَّ مَا فِيهَا، فَإِنْ فَعَلَ لَمْ يَدَعْهُ الشَّيْخُ بَلْ يُشِيرُ إِلَيْهِ بِيَدِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَتَفَطَّنْ، قَالَ لَمْ تَصِلْ، فَإِنْ لَمْ يَتَفَطَّنْ مَكَثَ حَتَّى يَتَذَكَّرَ، فَإِنْ عَجَزَ ذَكَرَ لَهُ.

الْخَامِسُ: رِعَايَةُ التَّرْتِيبِ فِي الْقِرَاءَةِ، وَالِابْتِدَاءُ بِمَا بَدَأَ بِهِ الْمُؤَلِّفُونَ فِي كُتُبِهِمْ فَيَبْدَأُ بِنَافِعٍ قَبْلَ ابْنِ كَثِيرٍ، وَبِقَالُونَ قَبْلَ وَرْشٍ.

قَالَ ابْنُ الْجَزَرِي: وَالصَّوَابُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِشَرْطٍ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ بَلِ الَّذِينَ أَدْرَكْنَاهُمْ مِنَ الْأُسْتَاذِيْنِ لَا يَعُدُّونَ الْمَاهِرَ إِلَّا مَنْ يَلْتَزِمُ تَقْدِيمَ شَخْصٍ بِعَيْنِهِ.

وَبَعْضُهُمْ كَانَ يُرَاعِي فِي الْجَمْعِ التَّنَاسُبَ: فَيَبْدَأُ بِالْقَصْرِ، ثُمَّ بِالرُّتْبَةِ الَّتِي فَوْقَهُ، وَهَكَذَا إِلَى آخِرِ مَرَاتِبِ الْمَدِّ، وَيَبْدَأُ بِالْمُشْبَعِ ثُمَّ بِمَا دُونَهُ إِلَى الْقَصْرِ، وَإِنَّمَا يُسْلَكُ ذَلِكَ مَعَ شَيْخٍ بَارِعٍ عَظِيمِ الِاسْتِحْضَارِ، أَمَّا غَيْرُهُ فَيُسْلَكُ مَعَهُ تَرْتِيبٌ وَاحِدٌ.

قَالَ: وَعَلَى الْجَامِعِ أَنْ يَنْظُرَ مَا فِي الْأَحْرُفِ مِنَ الْخِلَافِ أُصُولًا وَفَرْشًا، فَمَا أَمْكَنَ فِيهِ التَّدَاخُلُ اكْتُفِي مِنْهُ بِوَجْهٍ، وَمَا لَمْ يُمْكِنْ فِيهِ نُظِرَ: فَإِنْ أَمْكَنَ عَطْفُهُ عَلَى مَا قَبْلَهُ بِكَلِمَةٍ أَوْ كَلِمَتَيْنِ أَوْ بِأَكْثَرَ مِنْ غَيْرِ تَخْلِيطٍ وَلَا تَرْكِيبٍ اعْتَمَدَهُ، وَإِنْ لَمْ يَحْسُنْ عَطْفُهُ رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِ ابْتِدَائِهِ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ الْأَوْجُهَ كُلَّهَا، مِنْ غَيْرِ إِهْمَالٍ وَلَا تَرْكِيبٍ وَلَا إِعَادَةِ مَا دَخَلَ: فَإِنَّ الْأَوَّلَ مَمْنُوعٌ، وَالثَّانِي مَكْرُوهٌ، وَالثَّالِثَ مَعِيبٌ.

ومن خصائص علم القراءات أنه:

يُبيِّن حُكمًا مُجمعًا عليه.

يُرجِّح به حُكمًا اختُلِف فيه.

يُوضِّح حكمًا يقتضي الظاهر خلافه.

يُستَنبط منه المسائل الفقهية وما يتفرَّع منها من الخلاف.

يُحافظ على لهجات القبائل العربية.

ومن فوائد دراسة علم القراءات أنَّه يصون كلام القرآن من التحريف والتزييف والتغيير، وغير ذلك من الفوائد.

حكم تعلم القراءات:

فرض كفاية: إن تعلمه بعض المسلمين سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يتعلمه أحد أثِم الجميع.

ولكن بعض المسلمين أن يكون في كل قرية على الأقل واحد يتعلَّم ويعلِّم القراءات.

حكم منكر القراءات:

حكمه كحكم من ينكر القرآن الكريم، (كافر بالإجماع).

المراحل التي مر بها هذا العلم الجليل على النحو التالي:

المرحلة الأولى: القرآن والقراءات في زمن النبوة، ويمكن إجمال هذه المرحلة بالنقاط التالية:

١ - تعليم جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم القرآن والقراءات، وكان هدفها حفظ النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يلقاه من القرآن.

٢- تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة القرآن الكريم امتثالًا لقول الله تعالى: و﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقد ورد عن عثمان وابن مسعود وأُبي بن كعب رضي الله عنهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر؛ أي: آيات فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمهم القرآن والعمل معًا.

٣- تعليم بعض المسلمين بعضًا آي القرآن وسوره، وكان ذلك بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وإقراره، فأول من قدم إلى المدينة لتعليم المسلمين القرآن الكريم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير، وإنه نزل دار القراء، وكان يسمى بالمقرئ، وعبدالله بن أم مكتوم، ثم بلال وعمار رضي الله عنهم، ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة، ترك فيهم معاذ بن جبل رضي الله عنه لتعليم المسلمين القرآن.

٤- ظهور طائفة من الصحابة يتدارسون كتاب الله عز وجل يسمون (بالقراء)، وهو بداية نشوء هذا المصطلح، وكانوا سبعين رجلًا شببة كانوا إذا أمسوا أتوا ناحية المدينة، فتدارسوا القرآن، وهم الذين قتلوا في غزوة بئر معونة.

٥ - تصدي بعض الصحابة لحفظ القرآن عن ظهر قلب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم: أبو بكر الصديق، وأبي بن كعب (ت ٢٠ هـ)،

وعبدالله بن مسعود (ت ٣٢ هـ)، وأبو الدرداء عويمر بن زيد (ت ٣٢ هـ)، وعثمان بن عفان (ت ٣٥ هـ)، وعلي بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ)، وأبو موسى الأشعري (ت ٤٤ هـ)، وزيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ) رضي الله عنهم، قال الذهبي عنهم: فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذ عنهم عرضًا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة.

المرحلة الثانية: القرآن والقراءات في زمن الصحابة والتابعين، ويمكن إجمال هذه المرحلة بالنقاط التالية:

١ - تلمذة جماعة من الصحابة والتابعين على جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، فقد قرأ أبو هريرة وابن عباس وعبدالله بن السائب وعبدالله بن عياش وأبو العالية الرياحي، قرؤوا على أُبي بن كعب، وقرأ المغيرة بن أبي شهاب المخزومي على عثمان بن عفان، وقرأ الأسود بن يزيد النخعي على عبدالله بن مسعود.

٢ - بدأ أخذ بعض وجوه القراءة المختلفة، ونقلها بالرواية، وقد ذكر ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه في (القراءات)، وهو من أوائل الكتب المؤلفة في علم القراءات، وهذه النقطة لم تتعد القرن الأول الهجري، وبدأت تشيع ظاهرة اختلاف القراءات في النصف الأول من القرن الأول، كما يؤخذ من وفيات الصحابة رضي الله عنهم.

وقد أرسل عبدالله بن السائب المخزومي (ت في حدود ٧٠ هـ) إلى مكة، وأبو عبدالرحمن السلمي (ت ٤٧ هـ) إلى الكوفة، وكان قبله ابن مسعود حينما أرسله عمر.

ابن الخطاب رضي الله عنه، وعامر بن عبدقيس (حوالي ٥٥ هـ) إلى البصرة، والمغيرة بن أبي شهاب المخزومي (ت نيف وسبعين هـ) إلى الشام، وجعل زيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ) مقرئًا في المدينة، وكان هذا في حدود سنة ثلاثين من الهجرة.

إقبال جماعة من كل مصر على المصحف العثماني لتلقي القراءات وَفق ما تلقاه الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك على النحو التالي:

أ- في المدينة: معاذ بن الحارث، المعروف بمعاذ القارئ (ت ٦٣ هـ)، وسعيد بن المسيب (ت ٩٤ هـ)، وعروة بن الزبير (ت ٩٥ هـ)،

وعمر بن عبدالعزيز (ت ١٠١ هـ)، وعطاء بن يسار (ت ١٠٣ هـ)، وسالم بن عبدالله بن عمر (ت ١٠٦ هـ)، وغيرهم.

ب- في مكة: عبيد بن عمير (ت ٧٤ هـ)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٣ هـ)، وطاوس بن كيسان (ت ١٠٦ هـ)، وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٥ هـ)، وعبدالله بن أبي مليكة (ت ١١٧ هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت ٢٠٠ هـ)، وغيرهم.

ج- في الكوفة: عمرو بن شراحيل (ت بعد ٦٠ هـ)، وعلقمة بن قيس (ت ٦٢ هـ)، ومسروق بن الأجدع (ت ٦٣ هـ)، وعبيدة بن عمرو السلماني (ت ٧٢ هـ)، وأبو عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمي (ت ٧٤ هـ)، وإبراهيم بن يزيد النخعي (ت ٩٦ هـ)، وغيرهم.

د - في البصرة: عامر بن عبدقيس (ت حوالي ٥٥ هـ)، ويحي بن يعمر العدواني (ت ٩٠ هـ)، ونصر بن عاصم الليثي (ت قبل المائة هـ)، وأبو رجاء العطاردي (ت ١٠٥ هـ)، والحسن البصري (ت ١١٠ هـ)، ومحمد بن سيرين (ت ١١٠ هـ)، وغيرهم.

هـ - في الشام: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (ت نيف وسبعين هـ)، وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء، وغيرهم، وشملت هذه النقطة النصف الثاني من القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني الهجري.

٤- تجرد قوم للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة، حتى صاروا أئمة يقتدى بهم في القراءة، وقد أجمع أهل بلدهم على تلقي القراءة منهم بالقبول، ولتصديهم للقراءة نسبت القراءة إليهم، ومنهم:

أ- بالمدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٣٠ هـ)، وشيبة بن نصاح (ت ١٣٠ هـ)، ونافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩ هـ).

ب- بمكة: عبدالله بن كثير (ت ١٢٠ هـ)، وحميد بن قيس الأعرج (ت ١٣٠ هـ)، ومحمد بن محيصن (ت ١٢٣ هـ).

ج- بالكوفة: يحيى بن وثاب (ت ١٠٣ هـ)، وعاصم بن أبي النجود (ت ١٢٩ هـ)، وسليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٨ هـ)، وحمزة الزيات (ت ١٥٦ هـ)، والكسائي (ت ١٨٩ هـ).

د- بالبصرة: عبدالله بن أبي إسحاق (ت ١٢٩ هـ)، وعيسى بن عمر (ت ١٤٩ هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، وعاصم الجحدري (ت ١٢٨ هـ)، ويعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ).

هـ- بالشام: عبدالله بن عامر (١١٨ هـ)، وعطية بن قيس الكلابي (ت ١٢١ هـ) وإسماعيل بن عبدالله بن المهاجر، ويحي بن الحارث الذماري (ت ١٤٥ هـ)، وشريح بن يزيد الحضرمي (ت ٢٠٣ هـ).

وكانت هذه الفترة تمهيدًا للمرحلة التي بعدها، وهي فترة التدوين لروايات القراءات مع توفرها وبروزها ووضوحها.

المرحلة الثالثة: بدء التأليف في القراءات والتدوين، وتنامي هذا الاتجاه حتى نضوج علم القراءات، ونضوج التأليف فيه، واستقراره،، وذلك ضمن النقاط التالية:

١ - بدء التأليف في علم القراءات، وبدء عملية التدوين، وقد اختلف المؤرخون في أول من ألف في علم القراءات، فذهب الأكثر إلى أنه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، وذهب ابن الجزري إلى أنه أبو حاتم السجستاني (ت ٢٢٥ هـ)، وقيل غير ذلك، ولكن الذي يبدو أن يحي بن يعمر (ت ٩٠ هـ) هو أول من ألف في علم القراءات، ثم تتابع التأليف من بعده، وقد زاد عدد المؤلفات بعد ابن يعمر إلى تسبيع ابن مجاهد السبعة واقتصاره عليهم، وجعلهم في مصنف خاص.

٢ - تسبيع السبعة والاقتصار على جمع مؤلفاتهم في مؤلف خاص، وذلك في كتاب (السبعة في القراءات)؛ لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت ٣٢٤ هـ)، وبدء ظهور شروط القراءة الصحيحة، وتمييز الصحيح من الشاذ، فإن اختيار ابن مجاهد السبعة يشعر بأن ما سواها شاذ، وسيأتي تفصيل ما فعله ابن مجاهد، وسبب اقتصاره على السبعة، وشروط الاختيار مفصلًا.

٣ . بعد تسبيع السبعة، وتشذيذ القراءات الشواذ، جاءت مرحلة الاحتجاج للقراءات في جوانبها اللغوية من صوتية وصرفية ونحوية، وسيأتي تفصيل المصنفات في علم توجيه القراءات والاحتجاج لها في مبحث العلوم المتصلة بعلم القراءات.

٤ – توالي التأليف في القراءات السبع، ومن أبرز هذه الكتب "التيسير" لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ)، ونظمه للإمام الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ)، وقد زادت شروحها عن (٢٩) شرحًا، وتُعدُّ هذه النقطة هي الفاصلة للتفرقة بين القراءات الصحيحة والقراءات الشاذة، باشتهار كتاب التيسير ونظمه للشاطبي.

ثم جاءت مرحلة تفريد القراءات وتسديسها وتثمينها وتعشيرها، دفعًا لِما عِلق في أذهان كثيرين من أن الأحرف السبعة الواردة في الحديث الشريف هي القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد، قال أبو الفضل الرازي: إن الناس إنما ثمنوا القراءات وعشَّروها، وزادوا على عدد السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد – لأجل هذه الشبهة – وإني لم أقتف أثرهم تثمينًا في التصنيف أو تعشيرًا أو تفريدًا إلا لإزالة ما ذكرته من الشبهة.

اختيار ابن مجاهد للسبعة:

ذكر ابن مجاهد أن القراء السبعة الذين ضمن كتابه قراءاتهم، خلفوا التابعين في القراءة، وأجمعت العامة على قراءاتهم، وهو بهذا كأنه يلتمس لنفسه العذر فيما قام به من اختيار السبعة دون غيرهم، وفي هذا يقول بعد أن ترجم لهم:

فهؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام، خلفوا في القراءة التابعين وأجمعت على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سُميت، وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار، إلا أن يستحسن رجل لنفسه حرفًا شاذًّا، فيقرأ به من الحروف التي رويت عن بعض الأوائل منفردة، فذلك غير داخل في قراءة العوام، ولا ينبغي لذي لُبٍّ أن يتجاوز ما مضت عليه الأئمة والسلف بوجه يراه جائزًا في العربية، أو مما قرأ به قارئ غير مجمع عليه.

ثالثًا: القراءات القرآنية في عصرنا الحاضر:

بعد الحديث عن نشأة علم القراءات وحاله في المراحل الزمنية المتعددة، فإنه ينبغي تبيين حال هذا العلم في عصرنا الحاضر، بعد أن مرَّ هذا العلم بأوقات ندر فيها طالبوه، وقلَّ فيها راغبوه، إلا أننا في هذا العصر بحمد الله نلمس بداية عودة صادقة إلى هذا العلم، ورغبة جامحة في تعلُّمه وتلقِّيه، وعادت القراءات لتنتشر من جديد، ومظاهر هذه العودة إلى علم القراءات متعددة ومنها:

١ – انتشار القراءات التي يقرأ بها في العالم الإسلامي.

٢– طباعة المصاحف بالروايات المتعددة.

٣ – تسجيل الروايات صوتيًّا.

٤ – قيام مؤسسات وكليات تعنى بعلم القراءات.

نزول القرآن على سبعة أحرف:

كان جبريل – عليه السلام – ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ليعرض عليه القرآن؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلو ما ينزل عليه لأصحابه ويعلمهم إياه، فكانوا يحفظونه، ويعملون به؛ مصادقًا لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: ٦٧].

ولم يكن القرآن ينزل على كيفية واحدة، وإنما كان ينزل على سبعة أحرف كما دلَّت الأحاديث الصحيحة، تلك الأحرف التي تمثلت فيما بعد في القراءات القرآنية المشهورة التي نسمعها اليوم، والتي نُقِلت إلينا بالنقل الصحيح المتواتر، كما اشتهر عن السلف قولُهم: القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول.

وأحاديث نزول القرآن بالأحرف السبعة كثيرة مشهورة:

فعن عمرَ بنِ الخطاب - رضي الله عنه - قال: «سمعتُ هشامَ بنَ حكيمِ بنِ حِزامٍ يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلَّم فلبَّبته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورةَ التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كَذَبْتَ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلتُ: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسله، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعتُه يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أُنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأتُ القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه».

وعن ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أقرأني جبريل على حرف فراجعتُهُ، فلم أَزَل أَستَزيدُهُ ويَزيدُني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»؛ رواه البخاري (٣٠٤٧).

وفي حديث أبي بن كعب - رضي الله عنه -: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاةِ بني غِفارٍ، فأتاه جبريل، فقال: إن الله يأمرك أن تَقرَأَ أُمَّتُكَ القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تُطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تَقْرَأَ أُمَّتُك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تُطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأَيُّما حرفٍ قرؤوا عليه فقد أصابوا»؛ أخرجه مسلم (٨٢١).

وفي حديث آخرَ لأُبيٍّ بن كعب - رضي الله عنه - قال: «لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريلَ، فقال: يا جبريل، إني بُعثت إلى أمة أميين: منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتابًا قط، قال: يا محمد، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»؛ أخرجه الترمذي (٢٩٤٤)، وأحمد (٢١٢٠٤) باختلاف يسير.

وعلى هذا تلقى الصحابة هذه الحروفَ منه صلى الله عليه وسلم، وتفرقوا بعد ذلك في الأمصار، وهم على هذا الحال يُعلِّمون المسلمين، ويُقرؤون القرآن بما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم بحروفه المختلفة.

معنى الأحرف السبعة:

وللعلماء في تعيين معنى الأحرف السبعة أقوال كثيرة، وهذا التعدد في تفسير حقيقة الأحرف السبعة مرجعه عدم ورود ما يفسرها من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، أو أقوال الصحابة الرواة لهذه الأحاديث؛ لأن معنى هذه الأحرف كان واضحًا عندهم، فلم تظهر الحاجة إلى السؤال عن معناها.

وبذلك احتاج العلماء إلى الاجتهاد في بيان هذا المصطلح، فاختلفوا على أقوال كثيرة، ولعل أقرب هذه الأقوال للصواب أن الأحرف السبعة هي الوجوه القرائية السبعة المنزلة المرخص بها في اللفظ الواحد، بمعنى أن أقصى حدٍّ يمكن أن تبلغه الوجوه القرآنية في نطق الكلمة الواحدة هو سبعة أوجه.

فهي سبعة أوجه في كيفيات مختلفة نزل بها الوحي على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، عَلَّمها جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وتلقاها الصحابة عنه، وهذه الأوجه تكون في الكلمة الواحدة، وهي للتوسعة.

وأكثر كلمات القرآن الكريم يُقرأ على وجه واحد، وبعضها يُقرأ على وجهين، وبعضها على ثلاثة، وغاية التوسعة وصلت إلى سبعة أوجه في الكلمة الواحدة، وهذه الأحرف السبعة منها ما نسخ في العرضة الأخيرة، وما بقي منها ونقل إلينا بالنقل المتواتر، وتلقته الأمة بالقبول هو ما نعرفه اليوم بالقراءات العشر المتواترة.

وكانت هناك طائفة من الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - عُرِفوا بالقرَّاء، واشتهروا بتعليم القرآن وإقرائه منهم: الخلفاء الأربعة، وأُبيُّ بن كعب، وابن مسعود، وأبو الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن السائب، وأبو هريرة، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وغيرهم الكثير، وهؤلاء الصحابة هم الذين دارت عليهم أسانيد.

– المراد بالأحرف السبعة والمقصود بها:

المراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه في الاختلاف ورسم القراءة واحد، وهو ما ذهب إليه أبو الفضل الرازي وابن قتيبة، وابن الطيب، واستحسنه ابن الجزري، وهذه الأوجه هي:

الأول: اختلاف الأسماء من إفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير، وتأنيث:

مثل: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨]، قُرئ (لأمانتهم).

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال، من ماض ومضارع وأمر:

مثل: ﴿ فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا ﴾ [سبأ: ١٩]، قرئ (ربَّنا بعِّد).

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب:

مثل: ﴿ وَلا يُضَارَّ كاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، قُرئ (ولا يضارُّ).

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة:

مثل: ﴿ وما خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾ [الليل: ٣]، قُرئ (والذكر والأنثى) بنقص (ما خلق).

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير:

مثل: ﴿ وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ [ق: ١٩]، قرئ (وجاءت سكرة الحق بالموت).

السادس: الاختلاف بالإبدال:

مثل: ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، قُرئ (ننشرها) بالراء.

السابع: اختلاف اللغات — اللهجات - كالفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والإظهار والإدغام:

مثل: ﴿ وَهَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى ﴾ [طه: ٩]، تُقرأ بالفتح والإمالة في (أتاك) ولفظ (موسى).

والمقصود من هذه الأحرف السبعة:

١- أن جبريل نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بها حرفًا حرفًا، وأنه صلى الله عليه وسلم قرأ بها جميعًا، وأقرأ الناس عليها، وقرؤوا بها، فلا يسبقن إلى الذهن أن الأحرف السبعة راجعة إلى لغات الناس واختيارهم في ذلك كما يشاؤون.

٢- إن الحرف الواحد والأحرف السبعة للقرآن الكريم هي تنزيل من لدن حكيم حميد، وليس فيه لرسولنا صلى الله عليه وسلم إلا البلاغ المبين، وقد فعل صلى الله عليه وسلم وأدى الأمانة، وبلَّغ الرسالة على أكمل وجه.

٣- ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أن القرآن أنزل على هذا الشرط وهذه التوسعة، بحيث لا تتجاوز وجوه الاختلاف سبعة أوجه، مهما كثر ذلك التعدُّد والتنوع في أداء اللفظ الواحد، ومهما تعددت القراءات وطرقها في الكلمة الواحدة.

٤- لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة ليست قراءات القراء السبعة المشهورة، بل أول من جمع ذلك ابن مجاهد في القرن الرابع؛ ليكون ذلك موافقًا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده واعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبع هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءاتهم.

مصير الأحرف السبعة:

إن الأحرف السبعة باقية إلى يومنا هذا، وستبقى ما بقي القرآن؛ لأنها لا ترجع إلى الاختلاف في الألفاظ مع اتحاد المعاني، ولا اختلاف اللغات، وإنما ترجع إلى أمور بسيطة يحتملها جميعًا رسم القرآن الكريم على كتبته الأصلية دون إعجام وحركات، ويرجِّح ابن الجزري صواب هذا الرأي؛ لأن الأحاديث الواردة تشهد له وتدلُّ عليه، فيقول: «والمصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام، متضمنة لها، لم تترك حرفًا منها»؛ الواضح في علوم القرآن.

تصحيح مفهوم:

قال أبو شامة: ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض الجهال؛ المرشد الوجيز ص ١٤٦.

العلاقة بين القراءات والأحرف:

أخذ عن الصحابة عدد من التابعين، وتتلمذوا على أيديهم، منهم: أبو العالية الرياحي، والمغيرة بن أبي شهابٍ المخزومي، وأبو عبدالرحمن السلمي، وزر بن حبيش، وأبو الأسود الدؤلي، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، والأسود بن يزيد النَّخعيُّ، وسعيد بن المسيب، وعبدالله بن السائب، وخلق كثير، وهكذا تناقلت القراءات من النبي إلى طبقة الصحابة، ثم إلى طبقة التابعين، ومن بعدهم.

وبذلك يتبيَّن لنا أن القراءات بدأت مع نزول القرآن، فهي مرتبطة به ارتباطًا وثيقًا، وتفرقت في الأمصار مع انتشار الفتح الإسلامي، وحفظها الصحابة ووعوها ونشروها لمن بعدهم؛ كما قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

الإقراء في زمن عثمان رضي الله عنه:

بعد جمع القرآن على يد أبي بكر رضي الله عنه، ظلت الصحف التي جمعت عند أبي بكر طيلة حياته، ثم عند عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - طيلة حياته ثم عند أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها.

وفي عهد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - كثُرت القراءات في العالم الإسلامي، وظهر النزاع والشقاق بين المسلمين، وهذا الاختلاف مفهوم متوقع؛ لأن القرآن كما قلنا نزل على سبعة أحرف، وتلقى الصحابة هذه الأحرف ونشروها في بلاد الإسلام، فمن الصحابة من كان يحفظ القرآن على حرف واحد، ومنهم من حفظه على حرفين، ومنهم من حفظه بأكثر من ذلك، وليس كل المسلمين آنذاك على دراية بكل الأحرف التي نزل بها القرآن، وقرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم، فوصل هذا النزاع إلى عثمان، فأمر بجمع المصاحف، وكتابتها برسم

يحتمل أغلب الأوجه الصحيحة المتواترة التي قرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم، وأرسلها إلى المدن المشهورة، وأرسل مع كل نسخة قارئًا يقرئ المسلمين من هذه النسخة بقراءة توافق قراءة أهل هذا المصر.

فكان مقصده – رضي الله عنه – جمع المسلمين على القراءات الثابتة المعروفة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وصار بذلك معيار قبول القراءة القرآنية: التلقي بالسند المتصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموافقة رسم عثمان رضي الله عنه.

وهذا بخلاف الجمع الأول في عهد أبي بكر، فقد كان هدفه حفظ القرآن من الضياع بعد مقتل كثير من حملته في معركة اليمامة.

وأقبل جماعة من كل مصر من الأمصار على المصحف العثماني الذي أُرسل إليهم لتلقي القراءات وَفق ما تلقاه المقرؤون عن النبي صلى الله عليه وسلم، فبرز قراء التابعين في كل مصر من الأمصار.

وعقب فترة التابعين، تجرد قوم للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية، حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم، ويرحل إليه، ويؤخذ عنهم، وأجمع أهل بلدهم على تلقي قراءاتهم بالقبول.

وكان القراء العشرة ورواتهم على رأس هؤلاء الأئمة.

وأوَّل مَن دوَّن في علم القراءات:

المشهور أنه أبو عبيد القاسم بن سلَّام ٢٢٤ هـ في كتابه "القراءات"، ولكن قيل أنه سبقه علماء، يحي بن يعمر ت قبل ٩٠ هـ، وأبان بن تغلب، وحمزة الزيات، ويعقوب الحضرمي، وغيرهم وذكر ابن الجزري أبا حاتم السجستاني ٢٢٥ هـ، كلهم ألفوا في القراءات والغالب أن أول من ألف هو يحي بن يعمر.

بدايات التدوين لعلم القراءات:

- (السبعة، لابن مجاهد).

ظهر التدوين في علم القراءات، حينما ظهرت مرحلة التخصص والتجرد لعلم القراءات، فظهرت فكرة التحديد والاختيار، وذلك لكثرة الروايات والقراءات، وقلة الضبط، ففي أواخر القرن الثالث الهجري قام الإمام الجليل أبو بكر بن مجاهد باختيار سبعة من القرَّاء، أراد بذلك أن يجمع الناس على قراءاتهم للتخفيف والتسهيل، واقتصر على هذه القراءات السبعة بعد تنقيحها والتثبت من تواترها، وذلك في كتابه المعروف: (السبعة في القراءات)، وكان رحمه الله حجةً في القراءات والحديث، فهو شيخ الصنعة ثقةً علامةً كبيرًا.

ويقال أنه اقتصر على هذا العدد؛ لأنه أراد أن يجعل عدد القراء على عدد المصاحف التي أرسلها عثمان - رضي الله عنه - إلى الأمصار، وقيل أنه أراد أن يجعلهم على عدد الأحرف التي نزل بها القرآن، فليس المراد بالأحرف السبعة القراءات السبعة التي اختارها ابن مجاهد.

وهؤلاء الأئمة السبعة الذين اختار ابن مجاهد - رحمه الله تعالى - قراءاتهم هم: الإمام نافع المدني، والإمام ابن كثير المكي، والإمام أبو عمرو البصري، والإمام ابن عامر الشامي، ومن الكوفيين اختار ثلاثةً من الأئمة؛ هم الإمام عاصم بن أبي النَّجود، والإمام حمزة الزيات، والإمام الكسائي رضي الله عنهم أجمعين.

كما اختار ابن مجاهد لكل قارئ راويين من أضبط رواته، محاولةً منه - رضي الله عنه - في حصر أوجه الخلاف بين القراءات، وحفظًا للمتواتر منها، وتسهيلًا على الحفاظ، وبيانًا لاختلاف المرويات عن القارئ الواحد.

وهذه الفكرة - أعني فكرة التحديد والاختيار من القراءات وفق أركانٍ وشروطٍ - قام بها أئمة كثيرون من الذين ألفوا في هذا العلم.

- (التيسير لأبي عمرو الداني، ونظمه للشاطبي).

وتتابع على نهج الإمام ابن مجاهد في تسبيع القراءات أئمة؛ منهم الإمام أبو عمرو الداني في كتابه: التيسير، والإمام الشاطبي في نظمه لكتاب التيسير والمسمى بحرز الأماني ووجه التهاني.

وهذا الاختيار ازداد رسوخًا وقبولًا عند أئمة الإقراء من بعده، ومنهم الإمام الشاطبي أبو القاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد الشاطبي الأندلسي الرعيني الضرير (ت ٥٩٠ هـ) الذي نظم كتاب التيسير للإمام الداني، والذي صنفه الإمام الداني على نهج الإمام ابن مجاهد تقريرًا للأئمة السبعة الذين اختارهم.

يقول الشاطبي رحمه الله:

وفي يسرها التيسير رمت اختصاره = فأجنت بعون الله منه مُؤَمَّلَا

ولاقت هذه القصيدة – التي سماها الإمام: حرز الأماني ووجه التهاني – قبولًا واسعًا، كما قال الناظم رحمه الله تعالى:

وسميتها حرز الأماني تيمنًا = ووجه التهاني فاهنه متقَبِّلَا

وهي قصيدة ألفية لامية من البحر الطويل، شرح فيها الإمام الشاطبي أصول القراء السبعة، واختيار كل قارئ ومذهبه في الأصول والفرش بطريقة الرمز، فكل قارئ أو راو له رمز، وهذه القصيدة ساحرة في فصاحتها وبلاغتها، فلم يكن الشاطبي رحمه الله يضع فيها أي لفظ هكذا.

يقول عنه الإمام ابن الجزري رحمه الله: كان إمامًا أعجوبةً في الذكاء، كثير الفنون، آية من آيات الله تعالى، غايةً في القراءات، حافظًا للحديث، بصيرًا بالعربية، إمامًا في اللغة، رأسًا في الأدب مع الزهد والولاية والعبادة والانقطاع، ويقول عن قصيدته الشاطبية: ولقد رُزِقَ هذا الكتاب من الشهرة – يعني قصيدة الشاطبية – والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن، بل أكاد أقول: ولا في غير هذا الفن، فإنني لا أحسب أن بلدًا من بلاد الإسلام يخلو منه، بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة منه. وتتابع الأئمة وتسارعوا على هذه القصيدة بالشرح ومن أبرزهم؛ الإمام السخاوي تلميذ الإمام الشاطبي، ومن أجلّ أصحابه في شرحه فتح الوصيد في شرح القصيد، وهو أنفس شروح الشاطبية وأوسعها، والإمام الفاسي في شرحه اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، والإمام شعلة في شرحه كنز المعاني، والإمام أبي شامة المقدسي في شرح إبراز المعاني، وغيرهم.

وهذه القصيدة حوت إلى جانب القراءات كثيرًا من معاني الإيمان والتزكية والتمسك بكتاب الله عز وجلَّ، يقول فيها الناظم رحمه الله تعالى:

وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ = وَأَغْنى غَنَاءٍ وَاهِبًا مُتَفَضِّلاَ

وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ = وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاَ

وَحَيْثُ الْفَتَى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ = مِنَ الْقَبرِ يَلْقَاهُ سَنًا مُتَهَلِّلاَ

هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلًا وَرَوْضَةً = وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يجْتُلَى

يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لحِبِيبِهِ = وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلًا إِلَيْهِ مُوَصَّلاَ

ويقول رحمه الله تعالى:

وَعِشْ سَالِمًا صَدْرًا وَعَنْ غِيبَةٍ فَغِبْ = تحُضَّرْ حِظَارَ الْقُدْسِ أَنْقى مُغَسَّلاَ

وَهذَا زَمَانُ الصَّبْرِ مَنْ لَكَ بِالَّتِي = كَقَبْضٍ عَلَى جَمْرٍ فَتَنْجُو مِنَ الْبَلا

وَلَوْ أَنَّ عَيْنًا سَاعَدتْ لتَوَكَّفَتْ = سَحَائِبُهَا بِالدَّمْعِ دِيمًا وَهُطَّلاَ

وَلكِنَّهَا عَنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ قَحْطُهَا = فَيَا ضَيْعَةَ الأَعْمَارِ تَمْشِي سَبَهْلَلاَ

بِنَفسِي مَنِ اسْتَهْدَى إلى اللهِ وَحْدَهُ = وَكَانَ لَهُ الْقُرْآنُ شِرْبًا وَمَغْسَلاَ

وَطَابَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ فَتَفَتَّقَتْ = بِكُلِّ عَبِيرٍ حِينَ أَصْبَحَ مُخْضَلا

فَطُوبى لَهُ وَالشَّوْقُ يَبْعَثُ هَمَّهُ = وَزَنْدُ الأَسَى يَهْتَاجُ فِي الْقَلْبِ مُشْعِلا

هُوَ المجْتَبَى يَغْدُو عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ = قَرِيبًا غَرِيبًا مُسْتَمَالًا مُؤَمَّلاَ

ويقول رحمه الله تعالى:

رِوَى الْقَلْبِ ذِكْرُ اللهِ فَاسْتَسْقِ مُقْبِلًا = وَلاَ تَعْدُ رَوْضَ الذَّاكِرِينَ فَتُمْحِلاَ

وَآثِرْ عَنِ الآثَارِ مَثْرَاةَ عَذْبِهِ = وَمَا مِثْلُهُ لِلْعَبدِ حِصْنًا وَمَوْئِلاَ

وَلاَ عَمَلٌ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِهِ = غَدَاةَ الْجَزَا مِنْ ذِكْرِهِ مُتَقَبَّلاَ

ويصف رحمه الله حال صاحب القرآن الصادق في صحبته، المداوم على ورده:

ومَنْ شَغَلَ الْقُرْآنُ عَنْهُ لِسَانَهُ = يَنَلْ خَيْرَ أَجْرِ الذَّاكِرِينَ مُكَمَّلاَ

وَمَا أَفْضَلُ الأَعْمَالِ إِلاَّ افْتِتَاحُهُ = مَعَ الْخَتْمِ حِلاًّ وَارْتِحَالًا مُوَصَّلاَ

ومع هذه البراعة وهذا الضبط، يضرب لنا هذا الإمام الرباني مثلًا في تواضع العلماء، فيقول عن قصيدته:

أَخي أَيُّهَا الْمُجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ = يُنَادَى عَلَيْهِ كَاسِدَ السُّوْقِ أَجْمِلاَ

وَظُنَّ بِهِ خَيْرًا وَسَامِحْ نَسِيجَهُ = بِالإِغْضَاءِ وَالْحُسْنَى وَإِنْ كَانَ هَلْهَلاَ

وَسَلِّمْ لإِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِصَابَةٌ = وَالأُخْرَى اجْتِهَادٌ رَامَ صَوْبًا فَأَمْحَلاَ

وَإِنْ كَانَ خَرْقٌ فَادرِكْهُ بِفَضْلَةٍ = مِنَ الْحِلْمِ ولْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلاَ

ويقول أيضًا:

وَبِاللهِ حَوْلِي وَاعْتِصَامِي وَقُوَّتِي = وَمَالِيَ إِلاَّ سِتْرُهُ مُتَجَلِّلاَ

فَيَا رَبِّ أَنْتَ اللهُ حَسْبِي وَعُدَّتِي = عَلَيْكَ اعْتِمَادِي ضَارِعًا مُتَوَكِّلاَ

- (ابن الجزري وكتابه النشر):

بعد الإمام ابن مجاهد والإمام أبي عمرو الداني والإمام الشاطبي ودورهم في تقرير قراءات القرَّاء السبعة، وبعد أن رسخت في الأمة أسانيد هذه القراءات ومعرفة رواتها، استمر انفراد القراءات السبع بالتواتر والقبول حتى نهاية القرن الثامن ومطلع القرن التاسع الهجري، ثم جاء من أئمة الإقراء من يظهر أولوية بعض القراءات التي لم يتناولها الإمام ابن مجاهد، وسطع نجم شيخ القراء الإمام شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري الدمشقي الشيرازي المعروف بابن الجزري رحمه الله تعالى، فقد اعترض على عدم تضمين بعض القراءات كقراءة الإمام أبي جعفر المدني، وهو شيخ الإمام نافع المدني، وأعلى سندًا منه، وقراءة الإمام يعقوب الحضرمي، وقراءة الإمام خلف بن هشام البزار.

فقام الإمام ابن الجزري بإثبات تواتر أسانيد هؤلاء القراء الثلاثة في كتابه: تحبير التيسير، ونظم في هذه القراءات الثلاث نظمه المعروف بالدرة المضية في القراءات الثلاث المرضية، واختار لكل قارئ من القراء الثلاثة راويان جريًا على سنة ابن مجاهد للتيسير على الأمة.

وهذه الإضافة من الإمام ابن الجزري ليست مبنية على عواطف انفعالية عنده، وإنما هي نتيجة علمية مبنية على أدلة علمية قوية تثبت تواتر هذه القراءات الثلاث، ولذا ذكر ابن الجزري في كتابه منجد المقرئين كلام العلماء في تواتر هذه الثلاثة، وسمى كثيرًا من العلماء في طبقات مختلفة قرؤوا بهذه الثلاثة، وقال رحمه الله: ولعمري ما فاتني لكثيرٌ؛ لأني لم أذكر إلا من تحققت أنه قرأ بها، وكلهم مذكورون مُتَرجمون في كتابي طبقات القراء، فثبت من ذلك أن القراءات الثلاث متواترة تلقاها جماعة من جماعة مستحيل تواطئهم على الكذب، وبهذه القراءات الثلاث مع السبع التي نظمها الإمام الشاطبي تمت القراءات عشرًا.

ثم بعد ذلك اجتهد الإمام ابن الجزري في خدمة القراءات، واستيعاب ما كتب في القراءات بما لديه من آلة هذا العلم، ودرس أسانيدها، فاطلع على كثير من كتب هذا الفن بما فيهم شروح الشاطبية، حتى استخلص كتابه العظيم الذي صنفه، وهو النشر في القراءات العشر، وأورد فيه وجوهًا أخرى لم يستوعبها الإمام أبو عمرو الداني في كتابه التيسير، ولا الإمام الشاطبي في منظومته، ونظم رحمه الله نظمًا جديدًا للقراءات العشر سماه طيبة النشر في القراءات العشر.

واصطلح على سبعة الإمام ابن مجاهد مع ثلاثة ابن الجزري التي أكملها أولًا بالقراءات العشر الصغرى، أما القراءات العشر التي حررها ابن الجزري بالطرق التي لم يستوعبها من سبقه، فاصطلح عليها بالقراءات العشر الكبرى.

وقد كان الإمام ابن الجزري رحمه الله إمامًا حافظًا، عاش حياة طويلة حافلة بالتنقل والترحال، والدرس والأخذ عن الشيوخ، وقراءة الكتب عليهم، وحلقات التعليم والإقراء، والكتابة والتأليف، ويعد هذا الإمام محقق علم القراءات ورائد نهضة علومها في زمانه، كما أن إضافاته في علم التجويد بالتأليف من أنفس ما كتب.

ومنظومته: المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، المعروفة بالجزرية هي من أشهر متون علم التجويد، ولها شروح كثيرة، والدارسون لعلم التجويد لا بد أن يَمروا عليها.

يقول الإمام ابن الجزري عن نفسه متحدثًا بفضل الله عليه في غزارة علمه وضبطه لهذا الفن، وتشجيعه طلبة العلم أن يأتوا إليه، فيأخذوا عنه هذا العلم: مع أني ألتزم أنه مَن جاءني من طلبة القراءات، فإني أُقرئه جميع القرآن بالقراءات العشر بمضمن النشر والطيبة، وما دخل فيها في شهر واحد إلا أن تكون إعاقته من نفسه، فغاية ما يغيب واحد منكم عن بلده ثلاثةُ أشهرٍ، ويعود إمامًا لا يشاركه في علمه بهذا الفن أحد، الذي لا أعلم أحدًا اليوم على وجه الأرض يعرفه إلا من قرأه عليَّ.

وقال عنه تلميذه ابن حجر في كتابه إنباء الغمر: الحافظ الإمام، المقرئ، شمس الدين، انتهت إليه رئاسة علم القراءات في الممالك، وكان يُلَقَّبُ في بلاده: الإمام الأعظم.

ومما يحكى عن هذا العَلَمِ عنايته الشديدة بأولاده إناثًا وذكورًا، حتى إنه ترجم لأربعة منهم في كتابه الفذ غاية النهاية في طبقات القراء، ونذكر منهم بنته سلمى بنت محمد بن محمد بن محمد الجزري، فإنها حظيت من بين أخواتها بترجمة في كتاب أبيها: غاية النهاية، فقد حفظت القرآن في سنٍّ مبكرة، وحفظت مقدمة التجويد وعرضتها، ومقدمة النحو، وطيبة النشر، والألفية، وعرضت القرآن على أبيها بالقراءات العشر قراءة صحيحة مجودة مشتملة على جميع أوجه القراءات، وتعلمت العروض والعربية، ونظمت بالعربية والفارسية.

وكذا كان حال بقية أولاده، كما قال عنهم طاش كبرى زاده: وجميع هؤلاء من القراء المجودين والمرتلين، ومن الحفاظ المحدثين، فطاب أصل هؤلاء وفروعهم، وطوبى لفروعٍ هذا أصلهم، ويا حبذا بيت هؤلاء أهله، وفخرًا لساكن مثل هذا البيت محله، رضي الله عنهم وأرضاهم.

القراءات الشاذة:

الشاذ لغة:

الشاذ لغة: من الشذوذ بمعنى: الانفراد؛ قال ابن فاس: (الشين والذال يدل على الانفراد والمفارقة، (شذ الشيء يشذ شذوذًا).

القراءة الشاذة اصطلاحًا:

القراءة الشاذة اصطلاحًا: هي كل قراءة فقدت أحد الأركان الثلاثة المذكورة سابقًا لقبولها، بحيث إنها:

١ - لم تكن متواترة.

٢ - أو خالفت رسم المصاحف العثمانية كلها.

٣ - أو لم يكن لها أصل في اللغة العربية، فهي شاذة.

مذاهب وأقوال العلماء في تعريف الشاذ من القراءات:

قيل في تعريف الشاذ أنه ما ليس بمتواتر؛ لأن شرط التواتر هو الأصل، أما الشرطان الأخيران فللاستئناس بهما؛ لأنه لا توجد قراءة متواترة مخالفة للشرطين الأخيرين أو أحدهما، أما القراءة غير المتواترة، فقد تكون مخالفة للشرط الثاني، أو تكون مخالفة للشرط الثالث، وهذا هو حال جميع القراءات الشاذة.

- يقول الإمام النويري رحمه الله تعالى: "أجمع الأصوليون والفقهاء على أنه لم يتواتر شيء مما زاد على القراءات العشرة، كذلك أجمع عليه القراء أيضًا إلا من لا يعتد بخلافه".

- وقال ابن الجزري: "والذي جمع في زماننا الأركان الثلاثة هي قراءة الأئمة العشرة التي أجمع الناس على تلقيها بالقبول".

- وقال رحمه الله نقلًا عن ابن السبكي: "والصحيح أن ما وراء العشرة فهو شاذ".

وعلى هذا، فالقراءات المروية بطريق الآحاد أو المدرجة - وهي التي زيدت في القراءات على وجه التفسير - تندرج تحت الشاذة، أما التي لا سند لها مطلقا أو ما روي بالمعنى، فلا تدخل في تعريفهما.

الخلاصة:

فالقراءات الشاذة هي التي تقابل القراءات المتواترة.

وعرفت بأنها (من فقَدت ركنًا أو أكثر من أركان القراءة المقبولة).

واعتمد الجمهور هذا التعريف: هي القراءة التي صحَّ سندها ووافقت اللغة العربية ولو بوجه وخالفت المصحف.

ثانيًا: تاريخ شذوذ القراءات:

للعلماء رأيان في تاريخ شذوذ القراءات:

الرأي الأول: إن الحد الفاصل بين القراءات الصحيحة والشاذة هو: العرضة الأخيرة التي تعرض فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - القرآن الكريم على جبريل عليه السلام مرتين في شهر رمضان، وقد نسخت فيها بعض الآيات القرآنية، فكل ما نسخ حتى العرضة الأخيرة يعتبر شاذًّا.

الرأي الثاني: إن الشذوذ بدأ يظهر في عصر الخليفة عثمان رضي الله عنه حينما كتبت المصاحف، وأمر بإحراق ما عداها، فيعتبر ذلك حدًّا فاصلًا بين القراءات الصحيحة والشاذة، ويُدرك ذلك بالتأمل في أركان القراءة الصحيحة؛ حيث موافقة القراءة لأحد المصاحف العثمانية شرط لقبولها.

والرأي الثاني هو الأقرب لواقع تاريخ جمع الأمة على المصحف الإمام، والله أعلم.

ثالثًا: حجية القراءات الشاذة وحكم العمل بها:

أ - حكم القراءة بالشاذ:

١ - أجاز بعض العلماء القراءة بالشاذ؛ لأن الصحابة كانوا يقرؤون بها في الصلاة وخارجها، فلو لم تجز القراءة بها، لكان أولئك لم يصلوا قط، بل ارتكبوا محرمًا، ومرتكب الحرام يسقط الاحتجاج بخبره، وهم نقلة الشريعة فيسقط بذلك أساس الإسلام، والعياذ بالله.

وهذا أحد القولين لأصحاب الشافعي وأبي حنيفة وإحدى الروايتين عن مالك.

٢ - الجمهور على عدم جواز القراءة بالشاذ للتعبد بها مطلقًا، لا في الصلاة ولا خارجها، بل نقل البعض إجماع المسلمين على ذلك - كابن عبدالبر وغيره - بحجة أن القراءات الشواذ لم تثبت بالتواتر، فلا يحكم بقرآنيتها؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وإن ثبتت بالنقل، فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة، أو بإجماع الصحابة على المصحف العثماني، وقد اتَّفق فقهاء بغداد على استتابة مَن قرأ بالشواذ، وقصة ابن شنبوذ بن مقسم العطار معروفة في ذلك.

قال ابن الجزري: "والذي نص عليه أبو عمرو بن الصلاح وغيره أن ما وراء العشر ممنوع من القراءة به منع تحريم لا منع كراهة، وقال ابن السبكي: "لا تجوز القراءة بالشاذ".

٣ - وقد توسط بعض العلماء، فقال: إن قرأ بها في القراءة الواجبة في الصلاة - وهي الفاتحة - عند القدرة على غيرها لم تصح صلاته؛ لأنه لم يتيقن أنه أدى الواجب من القراءة؛ لعدم ثبوت القرآن بذلك، وإن قرأ بها فيما لا يجب لم تبطل؛ لأنه لم يتيقَّن أنه أتى في الصلاة بمبطل؛ لجواز أن يكون ذلك من الحروف التي أنزل عليها القرآن.

ب - حكم العمل والاستشهاد بالقراءات الشاذة:

١ - الجمهور على جواز العمل بها تنزيلًا لها منزلة أخبار الأحاد، وأخبار الآحاد مقبولة عند العلماء، يجوز العمل بها واستنباط الأحكام الشرعية منها، وقد احتج العلماء بها في كثير من الأحكام الفقهية، كما في قطع يمين السارق على قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما" بدل: "أيديهما".

واحتجت الحنفية على وجوب التتابع في صوم كفارة اليمين بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه: "فصيام ثلاثة أيام متتابعات" بزيادة كلمة "متتابعات".

٢ – خالف في ذلك جمهور الشافعية، بحجة القراءات الشاذة لم تثبت قرآنيتها، فلا يجوز العمل بها.

وأجاب الجمهور عن ذلك بأنه لا يلزم من انتفاء قرآنيتها انتفاء عموم كونها أخبارًا؛ أي: إنها في حكم العمل بخبر الواحد، وخبر الواحد يعمل به.

حكم الاستشهاد بالقراءات الشاذة في قواعد النحو والصرف:

أما عن الاستشهاد بها، فيجوز الاستشهاد بالقرارات الشاذة في القواعد النحوية والصرفية باتفاق العلماء، ويجوز كذلك تعلمها وتعليمها نظريًّا لا عمليًّا، ويجوز تدوينها في الكتب وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب.

الخلاصة:

قال ابن عابدين: "القرآن الذي تجوزُ به الصلاة بالاتفاق، هو المضبوط في مصاحف الأئمة التي بعَث بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار، وهو الذي أجمع عليه الأئمة العشرة، وهذا هو المتواتر جملةً وتفصيلًا، فما فوق السبعة إلى العشرة غير شاذ، وإنما الشاذ ما وراء العشرة، وهو الصحيح"؛ ا هـ.

ولكن يجوز الاحتجاج بهذه القراءات في حكم شرعي أو حكم نَحْوي بشروط، وهي:

(١) عدم اعتقاد أنها قرآن.

(٢) ألا يوهم أحدًا بأنها قرآن.

(٣) أن يكون ذكرُه لها من باب الاحتجاج بها في الأحكام الشرعية أو اللُّغوية عند مَن يحتج بها؛ لأنها دوِّنت في الكتب من أجل هذا الغرض، وعلى هذا يحمل قول مَن أجاز قراءة الشواذ، بمعنى النقل والرواية، من أجل حكمٍ شرعي أو لُغوي.

اشتَهر عددٌ من الأئمة بنسبة القراءات الشاذة إليهم، وتعدُّ قراءات هؤلاء الأئمة من أشهر القراءات بعد القراءات العشر، وبعضُ العلماء يجعلها في عداد الآحاد؛ إذ لم تبلُغ حدَّ التواتر، وهي عندهم صحيحة السند، وقد ذكر سندهم الشيخ المتولي في كتابه: (العجالة البديعة الغرر، في أسانيد الأئمة القرَّاء الأربعة عشر).

وهؤلاء الأئمة هم:

- الإمام محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمي، المتوفى سنة ١٢٣ هـ، مقرئ أهل مكة مع الإمام ابن كثير، وأعلم قراء مكة بالعربية.
- والإمام يحيى بن المبارك اليزيدي البصري، المتوفى ٢٠٢ هـ، نَحْوي مقرئ.
- والإمام الحسن البصري إمام زمانه علمًا وعملًا، المتوفى ١١٠ هـ.
- والإمام سليمان بن مِهران الأعمش، إمام جليل، مقرئ الأئمة الأعلام، المتوفى ١٤٨ هـ.

فما نُسب لإمام مِن هؤلاء الأئمة الأربعة أو غيرهم من الأئمة دون العشرة المجمع على صحة قراءتهم وتواترها - فهو شاذٌّ مردود، لا يسمى قرآنًا، ويحرُم اعتقاد قرآنيَّته، وإيهام السامعين أنه من القرآن كذب، وتحرُم القراءة به مطلقًا على أنه قرآن، وذلك في الصلاة أو خارج الصلاة، ويُعزَّر مَن يقرأ به، وهذا كله بإجماع العلماء.

فوائد القراءة الشاذة:

لها فوائد وحكم؛ منها: أنها يحتج بها ويعمل بما يقتضيه معناها إذا لم يكن هناك ما يعالج بها أو يدفعها، وهي في الاحتجاج بها في حكم خبر الواحد، وهذا هو رأي جمهور العلماء من أمثلة ذلك قول الله تعالى في كفارة اليمين في صيام: (ثلاثة أيام)، جاء في قراءة ابن مسعود وأُبي بن كعب رضي الله تعالى عنهما (ثلاثة أيام متتابعات) على هذا السند جماعة من العلماء، فقالوا أنه يلزم التتابع في صيام كفارة اليمين.

٢- أنها تفسر القراءات المتواترة، وتبيِّن معناها، ويُستعان بها على فهم مراد الله تعالى، ومن ذلك قراءة عائشة وحفصة رضي الله تعالى عنهما: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر)؛ ذكره ابن خالويه.

٣- تعتبر رافدًا من روافد علوم اللغة، وهي أفضل من الشعر في الاستئناس والاستشهاد.

٤- القراءات الشاذة دليل على القراءات المشهورة، فبمعرفة القراءات الشاذة تتبيَّن لنا القراءات المتواترة، وقد جعل أبو الفتح ابن جني بعض القراءات الشاذة أدلة على وجود كثير من القراءات المشهورة، فربط بين القراءتين ربطًا قويًّا، مثل ما جاء في قراءة ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، قال ابن عباس: يُخوفكم أولياءه، ويرى ابن جني دلالة على إرادة المفعول الذي حُذف في القراءة المشهورة يخوف.

للاستزادة في باب القراءات الشاذة، ارجع مأجورًا إلى القراءات الشاذة؛ للشيخ عبدالفتاح القاضي، والقراءات الشاذة الدكتور سامي عبدالفتاح هلال

المشتهرون بالقراءة من الصحابة والتابعين:

كان المشتهرون من الصحابة بإقراء القرآن عثمانَ، وعليًّا، وأُبيَّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبا الدرداء، وسائر أولئك الذين أرسلهم عثمان رضي الله عنه وعنهم بالمصاحف إلى الآفاق والأمصار الإسلامية.

وكان المشتهرون من التابعين بإقراء القرآن سعيد بن المسيب، وعروة، وسالِمًا، وعمر بن عبدالعزيز، وسليمان بن يسار، وأخاه عطاء وآخرين.

في آخر عهد التابعين انتبه كثير من علماء القرآن إلى ما أخذ يتسلل إلى الناس من اضطراب السلائق، ومظاهر العجمة (أي غير العربية)، وبوادر اللحن (أي الخطأ في اللفظ القرآني)، فتجرد قومٌ منهم ونهضوا بأمر القراءات يضبطونها ويحصرونها، ويُعنون بأسانيدها، كما فعلوا مثل ذلك في الحديث وعلم التفسير.

وقد اشتَهر ممن نهض بذلك أئمة عشرة حازوا ثقة العلماء والقراء في مختلف الأمصار، وإليهم تنسب القراءات العشرة.

١ - الإمام نافع، ٢ - الإمام عاصم، ٣ - الإمام حمزة، ٤ - الإمام ابن عامر، ٥ - الإمام ابن كثير، ٦ - الإمام أبو عمرو البصري، ٧ - الإمام الكسائي، وهؤلاء هم القراء السبعة، وقد ألحق بهم ثلاث قراء، ٨ - الإمام أبو جعفر، ٩ - الإمام يعقوب، ١٠ - الإمام خلف، وهؤلاء هم القراء العشرة جزاهم الله عنا خير الجزاء.

وتلك هي القراءات الصحيحة المقبولة التي هي تعتبر قرآنًا من عند الله.

القراء العشر ورواتهم:

نافع قارئ المدينة المنورة: وهو نافع أبو رُؤيم، من تابعي التابعين، كانت وفاته سنة ١٩٦ هـ في المدينة، والرواة الذين نقلوا عنه هما راويان: قالون المدني واسمه عيسى بن مينا، وورش المصري وهو عثمان بن سعيد.

ابن كثير قارئ مكة المكرمة: وهو من التابعين، واسمه عبدالله بن كثير وهو غير ابن كثير الدمشقي، توفي في مكة سنة ١٢٠ هـ، وراوياه هما: البزي واسمه أحمد بن محمد بن بزة المكي، وقنبل واسمه محمد بن عبدالرحمن المكي.

أبو عمرو بن العلاء البصري: واسمه زبّان بن العلاء، وقد توفِّي في الكوفة سنة ١٥٤ هـ، وراوياه هما: الدُّوري وهو حفص بن عمر، والسوسي وهو صالح بن زبّان.

ابن عامر: وهو عبدالله بن عامر، وهو تابعي دمشقي توفي في دمشق سنة ١١٨ هـ، وراوياه هما: هشام بن عمَّار الدمشقي، وابن ذكوان وهو عبدالله بن أحمد القرشي.

عاصم بن أبي النجود: وهو قارئ الكوفة، وكان أحد التابعين، توفي في الكوفة سنة ١٢٨ هـ، وراوياه هما: شعبة وهو أبو بكر بن عيَّاش الكوفي، وحفص بن سليمان البزَّار الكوفي.

حمزة بن حبيب الزيَّات: وهو أحد قرَّاء الكوفة، توفِّي فيها سنة ١٥٦ هـ، وراوياه هما: خلف بن هشام البزَّار، وخلَّاد بن خالد الصيرفي.

الكسائي: وهو النحوي المعروف شيخ الكوفة علي بن حمزة، وهو مِن قرَّاء الكوفة، توفي في الكوفة سنة ١٨٩ هـ، وراوياه هما: أبو الحارث الليث بن خلد، وحفص الدوري الراوي عن أبي عمرو بن العلاء.

أبو جعفر: واسمه يزيد بن القعقاع، تابعي من المدينة المنورة، وقد توفي فيها سنة ١٢٨ هـ، وراوياه هما: ابن وردان وهو عيسى بن وردان المدني، وابن جمَّاز واسمه سليمان بن جمَّاز.

يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري: توفي في البصرة سنة ٢٠٥ هـ، وراوياه هما: رُوَيْس وهو محمد بن المتوكل اللؤلؤي، ورَوْح بن عبدالمؤمن البصري.

خلف بن هشام البزار البغدادي: توفي في بغداد سنة ٢٢٩ هـ، وراوياه هما: إسحاق بن إبراهيم الورَّاق، وإدريس بن عبدالكريم الحدَّاد.

الروايات المشتهرة في العالم الآن:

- حفص عن عاصم، وهي الرواية التي عليها معظم العالم الإسلامي: في الشرق العربي، وجنوب آسيا، وشبه القارة الهندية، وتركيا، وإيران، وأفغانستان، والجمهوريات الإسلامية في روسيا.

وقد كان أهل مصر يقرؤون برواية ورش عن نافع إلى أواخر القرن الخامس الهجري، ثم انتقلوا إلى قراءة أبي عمرو البصري، واستمر العمل عليها قراءة وكتابة في مصاحفهم إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري، كما صرح بذلك العلَّامة الضباع في كتابه الإضاءة في بيان أصول القراءة.

- رواية ورش عن نافع، وتنتشر القراءة بها في المغرب العربي على وجه العموم، وبعض الدول الإفريقية؛ مثل: تشاد، ونيجيريا.

- رواية قالون عن نافع، وتشتهر في ليبيا، وبعض الدول المغاربية؛ كتونس، والجزائر، وفي جزء من إفريقية؛ كموريتانيا.

- رواية الدوري عن أبي عمرو البصري، ويُقرأ بها في الصومال، وتشاد، والريف السوداني.

الأصول للقراء:

الاستعاذة، البسملة، صلة ميم الجمع، هاء الكناية، الإدغام الكبير والصغير، المدود، الإبدال، الحذف، التسهيل، الإمالة، النقل، التقليل، التفخيم، الترقيق، السكت، الروم، الإشمام، القطع، الاختلاس، ياءات الإضافة، ياءات الزوائد.

مختصر أصول القراء:

وهذه إلمامة سريعة بأصول القراء:

١- رواية قالون عن نافع المدني:

له القصر أو التوسط في المدِّ المنفصل،

ويجوز له الإسكان أو صلة ميم الجمع كنحو [عليكمو أنفسكمو لا يضرُّكمو] وصلًا،

ويحقق الهمز في نحو: [يؤمنون، رأس، ذئب].

رواية ورش عن نافع المدني:

يقرأ بإشباع المد المنفصل والمتصل.

يمدُّ كل مد طبيعي بعد همزة متحركة مقدار ٢، ٤، ٦ حركات؛ مثل: [آمنوا، إيمان، أوتوا].

يمد كل مد لين مقدار ٤، ٦ حركات؛ مثل: [شيْء، سَوْء، هيْئة].

يبدل جميع الهمزات؛ نحو: [يومنون، ماكول، ذيب].

يحذف كل همزة متحركة قبلها ساكن؛ نحو: [مِنَحَدٍ]، وأصلها [منْ أَحدٍ]، و[قُلِنِّي]، وأصلها [قُلْ إنِّي]، [وَلَاخرة]، وأصلها [والْآخرة].

يميل إمالة صغرى في ذوات الياء؛ نحو: [موسى، عيسى، يحيى، ضحى]،

يرقِّق الراءات المضمومة والمفتوحة إذا كان قبلها مكسور أو ياء؛ مثل: [غيْرَ، اصبِرُوا] .

يغلِّظ اللامات التي تأتي بعد ص، ط، ظ المفتوحات؛ مثل: [صَلاة، الطَّلاق، ظَلَم].

٢- قراءة ابن كثير المكي (براوييه البزِّي وقنبل):

له القصر في المنفصل فقط - وليس له التوسط.

وله صلة الميم فقط كرواية قالون - وليس له الإسكان -

ويحقق الهمز مثله في نحو: [يؤمنون، رأس، ذئب].

إلا أنه يزيد وجه صلة هاء الكناية؛ نحو [ابتلاهو ربهو فقدر عليهي رزقهو] وصلًا.

٣- أبو عمرو:

رواية الدوري عن أبي عمرو البصري:

يقرأ بقصر وبتوسط المنفصل، وبتحقيق الهمز؛ نحو: [يؤمنون، رأس، ذئب].

ويُميل كلمة (الناسِ) المجرورة في القرآن حيث جاءت،

ويميل إمالة صغرى ما جاء على وزن (فعلى)؛ نحو: [مُوسى، إِحدى، سَلوى].

ويميل إمالة كبرى مما كان فيه راء؛ نحو: [بشرى، ذكرى، أبرار، فجَّار، نهار].

وله بعض الإدغامات السهلة في القرآن؛ مثل: [لقدْ جاءت، كذبتْ ثمود] ونحوها.

- رواية السوسي عن أبي عمرو البصري:

يقرأ بقصر المنفصل فقط، ويبدل الهمز؛ نحو: [يومنون، راس، ذيب]..

ولا يُميل كلمة (الناسِ) كصاحبه الدوري، ولكنه يوافقه في مسألة (فعلى) وما فيه راء.

وله إدغامات كبرى وإدخال بعض الكلمات في بعضها بشكل كبير؛ نحو:

[حيشِّيتما]، وأصلها [حيث شئتما]، ونحو [لقجِّيشَّيئًا]، وأصلها [لقد جئتِ شيئًا] وغيرها.

ونحو [وقال الذين في النالخِّزنجّهنم]، وأصلها [وقال الذين في النار لخزنة جهنم].

٤- قراءة ابن عامر الشَّامي (براوييه هشام وابن ذكوان):

كقراءة عاصم، إلا أنه يقرأ بـ(إبراهام) في القرآن بتفصيلٍ ليس محل طرحه الآن.

ويزيد هشام الوقف على الهمز المتطرف؛ نحو [السماء، ماء، ضياء] بحذف الهمزة، فيقول [سمَا، مَا، ضِيَا]، وهذا بابٌ أطول من ذلك وإنما هو لتوضيح الفكرة فقط..

٥- قراءة عاصم الكوفي (براوييه حفص وشعبة):

له التوسط في المنفصل فقط..

وليس له صلة الميم - كما هو معروف في روايتنا بحفص.

ويحقق الهمز في نحو: [يؤمنون، رأس، ذئب]..

وشعبة يكاد يطابق حفص إلا أنه يدغم بضع كلمات ويميل عدَّة كلمات محدودة في القرآن.

٦- قراءة حمزة الزيَّات (براوييه خلف وخلَّاد):

يقرأ بإشباع المد المنفصل والمتصل..

يحقق جميع الهمزات؛ نحو [يؤمنون، رأس، ذئب] وصلًا،

ولكن إذا وقف عليها يبدلها فورًا، فيقول: [يومنون، راس، ذيب].

فمثلًا [المؤمنون والمؤمنات]، لو وقف يقول: [المؤمنون والمومنات] بتحقيق الأولى وإبدال الثانية.

يقرأ بوجه ترك الغنَّة في حرفي الواو والياء؛ نحو: [ومن يَّفعل، عذابٌ وَّاصب].

يقرأ بالإمالة الكبرى في ذوات الياء؛ نحو: [موسى، عيسى، يحيى، ضحى]..

يقرأ بالسكت على الهمزة المتحركة التي قبلها ساكن على تفصيل:

أ- (أل التعريف): الـ/أرض، والـ/آخرة، والـ/إيمان..

ب- في كلمة (شي/ءٌ وشي/ءٍ وشيـ/ـئًا)..

ج- الساكن لو كان في كلمة قبلها: منْ/ أحد، وقل/ إني، وعذابًا/ أليمًا..

٧- قراءة الكسائي الكوفي (براوييه الدوري وأبي الحارث):

كقراءة خلف في توسط المنفصل وتحقيق الهمزات والإمالات..

ويزيد عليه إمالة هاء التأنيث وقفًا؛ نحو [جاثية، قاسية] فيميلها.

٨- قراءة خلف العاشر (براوييه إدريس وإسحاق):

كقراءة عاصم في توسط المنفصل وتحقيق الهمزات..

ويزيد عليه الإمالات الكبرى في ذوات الياء؛ نحو: [موسى، عيسى، يحيى، ضحى]..

- والصحيحُ ترك السكت في قراءته من طريق الدرَّة، فتنبَّه.

٩- قراءة أبي جعفر المدني (براوييه ابن وردان وابن جمَّاز)..

له القصر في المنفصل فقط..

وله صلة الميم فقط كرواية قالون وقراءة ابن كثير،

ولكنه يبدل الهمز فقط؛ نحو: [يومنون، راس، ذيب]..

وليس له الصلة في هاء الكناية كابن كثير..

يسكت على حروف التهجِّي في بداية السور (كاف.. ها.. يا.. عين.. صاد)..

وله الإخفاء عند الغين؛ نحو (منْ غيركم)، والخاء؛ نحو (نداءً خفيًّا)..

١٠- قراءة يعقوب الحضرمي (براوييه رويس وروح):

يقرأ بقصر المنفصل، وبتحقيق الهمز؛ نحو: [يؤمنون، رأس، ذئب]..

تتميز قراءته بضم هاء الكناية في نحو [عليهُم، إليهُم، صياصيهُم، أيديهُم، عليهُنَّ]..

ويقف على نون جمع المذكر السالم بالهاء؛ نحو: [العالمينه، المؤمنينه، المشركينه]، وهذا الوجه الأخير له من طريق الطيِّبة لا الدرَّة.

والفروقات بين الروايتين طفيفة، كالفروقات بين حفص وشعبة تقريبًا بالحجم، شيء بسيط.

العلوم المرتبطة بعلم القراءات:

علم التجويد.

علم الرسم والضبط.

علم الوقف والابتداء.

علم الفواصل والعد.

علم التحريرات.

علم التفسير وتوجيه القراءات.

علم طبقات القراء.

علم النحو وعلم الصرف وعلم الأصوات.

المصحف العثماني وعلاقته بالقراءات:

أولًا: تعريف الرسم لغة واصطلاحًا:

الرسم في اللغة: الأثر، قال ابن فارس: (الراء والسين والميم أصلان: أحدهما الأثر، والآخر ضرب من السير، فالأول الرسم: أثر الشيء، ويقال: ترسَّمت الدار أي نظرت إلى رسومها)، رسم اللفظ أثره بالكتابة.

الرسم في الاصطلاح: ينقسم إلى قسمين:

أ – الرسم القياسي: وهو موافقة الخط اللفظ؛ كرسم كلمة: نستعين.

ب – الاصطلاحي: وهو مخالفة الخط اللفظ؛ وذلك ببدل، أو زيادة، أو حذف، أو فصل، أو وصل، أو نحو ذلك. وهو ما أثر عن أصحابه الكرام.

معنى الرسم العثماني أو الخط العثماني:

المراد بالرسم العثماني: الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه في عهده في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه، حينما أمر بنسخ المصاحف.

معنى علم الرسم:

المراد بعلم الرسم: هو العلم الذي يبحث في معرفة خط المصاحف العثمانية وطريقة كتابتها والقواعد المتبعة فيها خلافًا للرسم القياسي الإملائي.

معنى علم الضبط:

المراد بعلم الضبط: هو العلم الذي يبحث في طريقة نقط الكلمات والحروف القرآنية، نقط إعراب ونقط إعجام، وما يتعلق بذلك من رموز وحركات.

ثانيًا: طبيعة رسم المصاحف الأولى ومراحل ضبطها:

من المعلوم أن المصاحف في عهد الصحابة رضي الله عنهم لم تكن منقوطة ولا مضبوطة بالشكل، وقد كان ذلك لأنهم كانوا عربًا خُلَّصًا يقرؤون بفهمهم أكثر، أو مثل ما يقرؤون بالحروف الماثلة أمامهم.

ولَمَّا اتَّسعت الفتوحات الإسلامية، واختلط العرب بالعجم، دخل اللحن في لسان الأحفاد، وأخطر ما يكون اللحن وأشده حين يقع في القرآن الكريم. وأكثر من يدرك فشو اللحن وانتشاره مَن يقيم في بلاد العجم السابقة كالعراق، وبلاد الفرس.

وقد كان زياد بن عبيدالله والي البصرة " ٤٤ – ٥٣ هـ " في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، حين رأى ظهور اللحن، خَشِيَ أن ينال القرآن منه شيء، فبعث إلى أبي الأسود الدؤلي وقال له: يا أبا الأسود، إن هذه الحمراء – يعني العجم – قد كثرت، وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئًا يصلح به الناس كلامهم، ويعربون به كتاب الله تعالى، فأبى ذلك أبو الأسود، وكره إجابة زياد إلى ما سأل هيبة للقرآن وإجلالًا أن يضع فيه ما ليس منه، حتى سمع أبو الأسود رجلًا يقرأ قوله تعالى: ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة: ٣]

بكسر اللام من (رسوله)، فاستعظم أبو الأسود ذلك، وقال: عزَّ وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم رجع إلى زياد وأجابه إلى طلبه، ووضع علامات الإعراب، وكانت علامات الإعراب التي وضعها هي:

١ – نقطة فوق الحرف للفتح.

٢ – نقطة بين يدي الحرف للضم.

٣ – نقطة تحت الحرف للكسر.

٤ – نقطتين للحرف المنون.

وبعد أن أمن الناس من اللحن أو كادوا بعد وضع علامات الإعراب، ظهر نوع آخر من الخطأ وهو التمييز بين الحروف التي تتحد صورتها بدون نقط كالباء والتاء والثاء، وكالجيم والحاء، وكالدال والذال، ونحوها، وشق على السواد منهم أن يهتدوا إلى التمييز بين حروف المصحف وكلماته، وهي غير معجمة؛ مما دعا الخليفة عبدالملك بن مروان إلى أن يأمر الحجاج بن يوسف الثقفي واليه في العراق أن يختار من العلماء من يقوم بهذا العمل، واختار الحجاج بن يوسف لهذا العمل عالمين هما:

١ – يحي بن يعمر العدواني توفي قبل ٩٠ هـ.

٢ – نصر بن عاصم الليثي ت ٩٠ هـ.

فقاما بإعجام الحروف بوضع النقاط المعروفة إلى يومنا هذا، ثم لئلا يقع خلط بين نقط الإعجام ونقط الإعراب، قام الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) بتغيير نقط الإعراب إلى علامات الإعراب المعروفة الآن؛ حتى لا يقع خلط بين نقط الإعراب ونقط الإعجام على النحو التالي:

١ – " " فوق الحرف للفتح.

٢ – " " فوق الحرف للضم.

٣ – " " تحت الحرف للكسر.

٤ – " " فوق الحرف للتشديد وهي رأس ش من شديد.

٥ – " ۰ " فوق الحرف للسكون وهي رأس خ من "خفيف".

ووضع الخليل أيضًا الهمزة، والتشديد، والروم، والإشمام، وهو أول من صنف في النقط وذكر علله.

ثالثًا: قواعد الرسم المصحفي.

حاول العلماء حصر قواعد رسم المصحف في ست قواعد، وهي:

١ – الحذف.

٢ – الزيادة.

٣ – الهمز.

٤ – البدل.

٥ – الفصل والوصل.

٦ – ما فيه قراءتان فيكتب على إحداهما.

توضيح القواعد:

١ – قاعدة الحذف:

خلاصة قاعدة الحذف أن هناك حروفًا تحذف ولا تثبت رغم حصول النطق بها، والأحرف التي حذفت في بعض المواضع خمسة، هي:

– الألف.

– والواو.

– والياء.

- واللام.

- والنون.

أما الألف: فتحذف لثلاثة أمور:

- حذف إشارة: والمراد به الإشارة بحذف الألف إلى قراءة أخرى محذوفة الألف؛ مثل حذفها في "ملك يوم الدين"، وكحذفها في قوله تعالى: "وإن يأتوكم أسرى تفادوهم"، فحذف الألف في (أسارى) إشارة إلى قراءة حمزة؛ حيث قرأها "أسرى" بفتح الهمزة وإسكان السين وبدون ألف بعدها، وأما حذف الألف في (تفادوهم) فإشارة إلى قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة وخلف؛ حيث قرؤوها (تفدوهم) بفتح التاء وسكون الفاء وبدون ألف بعدها.

- حذف اختصار: وهو الذي يكون مطردًا في جميع الكلمات المتناظرة؛ كحذف الألف في كل جمع مذكر سالم وشبهه، إذا لم يقع بعد الألف تشديد أو همز مباشرين؛ مثل قوله تعالى: العلمين والحفظين والصدقين.

- حذف اقتصار: وذلك كأن يرد الحذف في كلمة بعينها دون نظائرها في كل القرآن الكريم؛ مثل حذف ألف (الميعاد) في قوله تعالى: ﴿ ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعد ﴾ في الأنفال لا غير، وإثبات الألف في بقية المواضع في القرآن الكريم وغيره.

و أمثلة حذف "الواو": "لا يستون، الغاون، داود، فأوا".

وأمثلة حذف "الياء": "غير باغ ولا عاد، وأطيعون، فارهبون، يعباد فاتقون".

وأمثلة حذف "اللام": " ليل، الذي، التي".

٢ - قاعدة الزيادة:

خلاصة قاعدة الزيادة أن الألف تزاد بعد الواو في آخر كل اسم مجموع أو في حكم المجموع، نحو: ملاقوا ربهم، بنوا إسرائيل، أولوا الألباب.

وبعد الهمزة المرسومة واوًا نحو: ﴿ تالله تفتأ ﴾، فإنها ترسم هكذا: تالله تفتوا. وفي كلمات مائة ومائتين والظنون والرسول والسبيل في قوله تعالى: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ [الأحزاب: ١٠]، ﴿ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾ [الأحزاب: ٦٦]، ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وتزاد الياء في هذه الكلمات: (أناء، من لقاء، بأيِّكم المفتون، بأيد) من قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ [الذاريات: ٤٧].

وتزاد الواو في نحو (أولو، أولئك، أولاء، أولات).

٣ – قاعدة الهمز:

خلاصة قاعدة الهمز أن الهمزة إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها؛ نحو: (ائذن، اؤتمن، البأساء) إلا ما استثني.

أما الهمزة المتحركة، فإن كانت في أول الكلمة واتصل بها حرف زائد، كتبت بالألف مطلقًا، سواء أكانت مفتوحة أم مكسورة؛ نحو: (أيوب، أولو، إذا، سأصرف، سأنزل، فبأي) إلا ما استثني.

وإن كانت الهمزة وسطًا، فإنها تكتب بحرف من جنس حركتها؛ نحو: (اسأل، سُئل، تقرأه) إلا ما استثني.

وإن كانت متطرفة، كُتبت بحرف من جنس حركة ما قبلها؛ نحو: (سبأ، نشاطئ، لؤلؤ) إلا ما استثنى.

وإن سكن ما قبلها حذفت؛ نحو: (ملء الأرض، يُخرج الخبء)، إلا ما استثني، والمستثنيات كثيرة في الكل.

٤ – قاعدة البدل:

خلاصة قاعدة البدل أن الألف تكتب واوًا للتفخيم في مثل الصلاة والزكاة والحياة، إلا ما استثني.

وترسم ياءً إذا كانت منقلبة عن ياء؛ نحو: (يتوفاكم، يا حسرتى، يا أسفى). وكذلك ترسم الألف ياءً في هذه الكلمات: (إلى، على، أنى – بمعني كيف – متى، بلى، حتى، لدى) ما عدا لدى الباب في سورة يوسف، فإنها ترسم ألفًا،

وترسم النون ألفًا في نون التوكيد الخفيفة وفي كلمة إذن.

وترسم هاء التأنيث تاءً مفتوحة في كلمة (رحمت) بالبقرة والأعراف وهود ومريم والروم والزخرف.

وفي كلمة (نعمة) بالبقرة، وآل عمران، والمائدة، وإبراهيم، والنحل، ولقمان، وفاطر، والطور.

وفي كلمة (لعنة الله)، وفي غيرها مما هو مذكور في كتب الرسم.

٥ – قاعدة الوصل والفصل:

خلاصة قاعدة الوصل والفصل أن كلمة أن بفتح الهمزة توصل بكلمة لا إذا وقعت بعدها.

ويستثنى من ذلك عشرة مواضع؛ منها: أن لا تقولوا، أن لا تعبدوا إلا الله.

وكلمة من توصل بكلمة ما إذا وقعت بعدها.

ويستثنى (من ما ملكت أيمانكم) في النساء والروم، و(من ما رزقناكم) في سورة المنافقين.

وكلمة (من) توصل بكلمة من مطلقًا.

وكلمة (عن) توصل بكلمة ما، إلا قوله سبحانه (عن ما نهوا عنه).

وكلمة (إن) بالكسر توصل بكلمة ما التي بعدها إلا قوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ ﴾ [الرعد: ٤٠].

وكلمة (أن) بالفتح توصل بكلمة ما مطلقًا من غير استثناء.

وكلمة (كل) توصل بكلمة ما التي بعدها إلا قوله سبحانه: ﴿ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ ﴾ [النساء: ٩١]، ﴿ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وتوصل كلمات (نعما، وربما، وكأنَّما، وكأنه) ونحوها.

٦ - قاعدة ما فيه قراءتان:

خلاصة قاعدة ما فيه قراءتان أن الكلمات التي اشتملت على أكثر من قراءة، وخلوها من النقط والشكل يجعلها محتملة لكل قراءة، كتبوها برسم واحد في جميع المصاحف؛ نحو: "ملك يوم الدين"، "الصراط المستقيم"، فيكون أحد الوجهين موافقًا للرسم تحقيقًا والثاني تقديرًا، وإن لم تحتمل إلا وجهًا واحدًا برسم واحد، كتبوها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي بعضها برسم آخر يدل على قراءة أخرى، نحو: ﴿ ووصى بها إبراهيم - وأوصى بها إبراهيم ﴾، أو "وقالوا اتخذ الله ولدًا"، ﴿ قالوا اتخذ الله ولدًا ﴾.

رسم المصحف وعلاقته بالقراءات القرآنية:

من أعظم مقاصد رسم المصحف هو الدلالة على القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة بقدر الإمكان، وذلك أن قاعدة الرسم لوحظ فيها أن الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر كتبت بصورة تحتمل هاتين القراءتين أو الأكثر، فإن كان الحرف الواحد لا يحتمل ذلك بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات، جاء الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل، وذلك ليعلم جواز القراءة به وبالحرف الذي هو الأصل، وإذا لم يكن في الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف الأصل رسمت به.

فيكتبون مثلًا: (مالك يوم الدين) بحذف الألف بعد الميم الأولى، ووضع ألف صغيرة للإشارة إلى الألف المحذوفة في قراءة عاصم والكسائي "مالك"، وفي حذفها إشارة إلى قراءة الباقين "ملك".

وكذا ما كان فيه أكثر من قراءتين، فإنهم يرسمونه بصورة تحتمل هذه القراءات ما أمكنهم ذلك؛ مثل: ﴿ إن هذان لساحران ﴾، فقد رسمت في المصحف قبل النقط هكذا: "ان هذان" للإشارة إلى القراءات فيها، وهي:

١ - "إنَّ هذان"، وهي قراءة نافع وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي.

٢ - "إنْ هذان"، وهي قراءة ابن كثير.

٣ - "إنْ هذان"، وهي قراءة حفص عن عاصم.

٤ - "إنَّ هذين"، وهي قراءة أبي عمرو.

وكما ترى فإن رسم هاتين الكلمتين بلا نقط ولا شكل، ومن غير ألف، ولا ياء بعد الذال، يحتمل هذه القراءات كلها.

بقي أمر وهو أنه إذا كان في الآية أكثر من قراءة، ولا يُمكن كتابتها برسم واحد يحتمل هذه القراءات، فإنهم يكتبون كل قراءة في مصحف ليتفق كل رسم مع القراءة التي يقرأ بها.

فمثلًا قوله تعالى: ﴿ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، كُتبت الكلمتان في المصحف الشامي ﴿ وبالزبر وبالكتاب المنير ﴾ بزيادة باء في الزبر وباء أخرى في الكتاب، وكتبتا في سائر المصاحف بحذف الباءين.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، كُتبت في المصحف المكي "من تحتها" بزيادة "من"، وفي بقية المصاحف بدونها.

مصادر رسم المصحف:

أُلِّفت في هذا العلم كتبٌ كثيرة على امتداد العصور، ومن أهم الكتب التي اهتمت برسم المصحف:

١ - المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار:

ألفه أبو عمرو الداني ت ٤٤٤ هـ، وقد اشتهر هذا الكتاب شهرة فائقة، وزاد في شهرته وتداوله أن الإمام أبا القاسم الشاطبي الرُّعيني (ت ٥٩٠ هـ) نظَمه في قصيدته الرائية المشهورة باسم «عقيلة أتراب القصائد».

٢ - التبيين لهجاء التنزيل:

ألفه أبو داود سليمان بن نجاح الأندلسي (ت ٤٩٦ هـ)، وهو تلميذ أبي عمرو الداني، وقد لازمه كثيرًا، وأخذ عنه القراءات، وجعل هذا الكتاب في ست مجلدات، ثم جرَّد منه كتابًا مختصرًا سماه: التنزيل في هجاء المصاحف.

٣ - مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن:

منظومة ألفها الخراز محمد بن محمد بن إبراهيم الأموي الشريشي، وكان الخراز قد نظم قصيدة سماها (عمدة البيان)، وذيَّلها بالضبط المتصل بمورد الظمآن اليوم، لكنه أعاد نظم القسم الخاص بالرسم وسماه (مورد الظمآن).

توجيه القراءات وأثره في التفسير:

من الملاحظ أن القراءات في قسمان متواتره وشاذة، ودون العلماء هذه القراءات المتواترة، وحفظوا أسانيدها، بحيث لا يمكن زيادة شيء على المتواتر، أو النقص منه، وظهر علم يتعلق بهذه القراءات، وهو: توجيه القراءات، ويسمى علل القراءات أو الاحتجاج للقراءات والمراد به هو بيان وجه القراءة؛ من حيث العربية، ومعرفة الفروق بين القراءات المختلفة، وليس يعني أنها تحتاج إلى توثيق، بل هي حجة، قال ابن جني: القرآن يتخير له ولا يتخير عليه.

قال الصفاقسي في (غيث النفع): القراءةُ لا تَتبَعُ العربية، بل العربيةُ تَتبَعُ القراءةَ؛ لأنها مسموعةٌ مِن أفصحِ العرب بإجماعٍ، وهو نبيُّنا صلى الله عليه وسلم، ومِن أصحابه، ومَن بعدهم.

والتوجيه يكون للأداء والإعراب والصرف وللغة وللمعنى، والمراد هنا ما يتعلق بالمعنى؛ لأنه هو المؤثر في التفسير؛ حيث يختلف المعنى باختلاف القراءة.

من الكتب التي تهتم بالتوجيه:

الحجة في القراءات السبع لابن خالويه.

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني.

الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب.

طلائع البشر لمحمد صادق قمحاوي.

المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة لمحمد سالم محيسن.

واهتمت بعض كتب التفسير بالتوجيه؛ منها تفسير الطبري، وابن عطية، والقرطبي، وأبي حيان والرازي والطاهر بن عاشور، والشنقيطي...إلخ.

دراسة في علم القراءات:

الوقف والابتداء.

١٤٤٢ هـ — ٢٠٢٠م.

بسم الله الرحمن الرحيم.

المحاضرة الثامنة: الوقف والابتداء.

علاقة الوقف والابتداء بالقراءات.

هذا العلم علم الوقف والابتداء علم لا بد من الوقوف عليه، ولا بد من المتخصص القراءة فيه، هو علم يتعلق بكتاب الله عز وجل، فحري بكل مسلم تخصص في علم القرآن والقراءات أن يهتم بالوقف والابتداء والقراءة فيه، والكتابة فيه، وتلخيص كتاب مثلًا ليستفيد ويفيد.

بعض المصطلحات في هذا العلم:

الوقف لغة: الحبس، منه وقفت إذا منعتها من المشي وجعلتها تقف، والديمومة في القيام، هذا الرجل يقف وقف بمكان وقفًا ووقوفًا: إذا دام قائمًا.

والوقف في القراءة هو: قطع الكلمة عما بعدها.

أما اصطلاحًا، فالوقف عند القراء نوعان:

كيفية النطق بالحرف أو الحركة عند الوقف، كالوقف على أواخر الكلم، والوقف على تاء التأنيث، ووقف حمزة وهشام على الهمز، وهذا ليس المراد.

والوقف الذي يتأثر به المعنى في الآية، وهذا هو المراد عند من يتكلمون عن علم الوقف.

الوقف: عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنًا يتنفس فيه بنية القراءة لا بنية الإعراض.

هناك سكت مثل سكت حمزة وهشام وسكت حفص مثلًا على (من راق)، وعلى (بل ران)، السكت هذا عبارة عن قطع الصوت زمنًا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس.

الابتداء لغة: فعل الشيء أولًا، يعني: بدأت الشيء فعلته ابتداءً.

أما في الاصطلاح، فهو الشروع في القراءة بعد قطع أو وقف.

يعني: مبدؤه أول السورة استعاذة ثم بسملة وسط السورة، كذلك بعد الوقف لا يلزمه استعاذة ولا بسملة.

تعريف علم الوقف والابتداء: هو علم يعرف به القارئ المواضع الذي يصلح أو لا يصلح الابتداء بها.

للاستزادة من ذلك: المقاطع والمبادئ للسجستاني والهمذاني، والقطع والائتناف للنحاس، والكركي أيضًا، والمقطوع والموصول لابن عامر والكسائي.

أنواع الوقف:

الوقف التام: هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده.

مثال: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٥].

الوقف الكاف: هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ؛ مثال: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ ﴾ [النساء: ٢٣]، بينهما انقطاع وتعلق من جهة أخرى.

الوقف الحسن: هو الذي يَحسُن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلُّقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعًا؛ مثال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢].

الوقف القبيح: هو الذي لا يعرف المراد منه.

مثال: نقف على (بِسْمِ) وتبدأ (اللَّهِ) هذا يعتبر وقف قبيح.

الوقف والابتداء له أهمية عظمى اعتنى به السلف اعتناءً شديدًا، وكثرة المؤلفات من العلماء فيه؛ لأن بمعرفته تتبين مقاطع الكلام ومبادئه، وتظهر مرادات المعاني، وتعرف كيفية أداء معاني كلام الله تعالى.

فلا بد من معرفة الوقف والابتداء، فله أهمية عظمى، قال النكزاوي: باب الوقف عظيم القدر جليل الخطر؛ لأنه لا يتأدى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية إلا بمعرفة الفواصل.

وقال السخاوي: في معرفة الوقف والابتداء تتبيَّن معرفة معاني القرآن العظيم ومعرفة مقاصده.

فالوقف له أثرٌ كبير في فهم المعنى، ومن اختار وقفًا فقد فسَّر، فالقطع والائتناف يسهل التفريق بين المعاني.

إذًا معرفة الوقف والابتداء تتوقف على بعض العلوم من أهمها علم القراءات والنحو والفقه.

طبعًا في حكم الوقف: العلماء تكلموا في هذا؛ مثلًا قال أبو يوسف ببدعة من يتعمد الوقف على مقطع من آية دون غيره، وبدَّع التسمية بتام وناقص وكاف وهكذا، طبعًا ردوا عليه وقالوا: هذه اصطلاحات، ولا بد للقارئ أن يقف على تمام المعنى، والذين حكموا على هذه الاصطلاحات لا يحرمون على القارئ الوصل فيما حكموا بالوقف عليه، إلا أن يكون ذلك بسبب، فكلام الله معجز بإعجازه بهذا الرصف والنصب والنظم العجيب، لذا لا بد من تدبر المعاني.

قوله كله تام وحسن وبعضه تام وحسن وهكذا، يقال: لو قال قارئ: إذا جاء ووقف يعني على كلمة، إذا جاء هذا، يعتبر تامًّا طبعًا، هذا من الردود الذي ردوها على أبي يوسف رضي الله عنه.

القول الثاني: الوقف على رؤوس الآي، سبب ذلك حديث أم سلمة رضي الله عنها، وقالوا: تتبُّع المقاصد أولى من الوقف على رأس الآية إذا لم يتم المعنى، يعني قالوا بالوقف على المعاني وتمام المعاني، وتبنى هذا الرأي العُماني والسجاوندي، لما رواه ابن أبي الحاتم عن الشعبي، وأيضًا ابن خالويه والسخاوي؛ لأن الوقف يقطع المعنى ولا يمكن فَهمه، ووقف الرسول صلى الله عليه وسلم على رؤوس الآيات ردوا على ذلك قد يكون من أجل عد الآي، ووجهوا حديث أم سلمة أنه أغلبي في ذلك.

ومن يرى الوقف على رؤوس الآية سُنة، وأن الأولى الوقف عليها الحُليمي والداني والبيهقي وابن القيم، وابن الجزري والأشموني رحمهم الله.

مذاهب القراء في علم الوقف والابتداء:

- نافع كان يراعي محاسن الوقف والابتداء بحسب المعنى.

- ابن كثير كان يقف حيث ينتهي به النفس، وكان أيضًا يراعي الوقف على رؤوس الآي.

- أبو عمرو البصري كان يتعمد الوقف على رؤوس الآي، وأيضًا يطلب حسن الابتداء وحسن الوقف.

- عاصم والكسائي كانا يطلبان الوقف من حيث يتم الكلام.

- حمزة كان يقف عند انقطاع النفس؛ لأن مدود حمزة كانت طويلة، فكان يصعب الوقوف على رؤوس الآي أو الوقف على المعنى، فكان مرتبطًا بالوقف على انقطاع النفس.

- الباقون كانوا يراعون حسن الحالتين وقفًا وابتداءً.

مؤلفات علم الوقف والابتداء:

بداية التأليف ابن عامر القارئ المقرئ توفي سنة ١١٨ هـ، وشيبة بن نصاح توفي سنة ١٣٠ هـ، هذا أول من كتب في علم الوقف والابتداء.

كتب ابن عامر في المقطوع والموصول في مؤلفات خاصة في علم الوقف والابتداء كثيرة نختار منها على سبيل المثال الذين كتبوا من القراء شيبة بن صاح كتب الوقوف حمزة الزيات القارئ المقرئ، كتب الوقف والابتداء نافع كتب وقف التمام.

محمد بن الحسن الرؤاسي كتب الوقف والابتداء الكبير، الكسائي كتب مقطوع القرآن، يحيى بن مبارك اليزيدي كتب الوقف والابتداء، يعقوب الحضرمي كتب وقف التمام، وهناك مؤلفات تتضمن ذلك مثل كتب علم القرآن مثل البرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي، والبرهان في علوم القرآن للحوفي، والرغائب للنيسابوري، كتب القراءات والتجويد الكامل للهذلي، والنشر للجزري، والبرهان للقمحاوي رحمهم الله جميعًا، وابن الأنباري له كتاب إيضاح الوقف والابتداء كتاب جميل، قسَّم تقسيمات جميلة لمن أراد أن يعود إليها.

علاقة الوقف بالقراءات:

القراءات تعتبر هي التطبيق العملي لعلم الوقف والابتداء، باختلاف الوقف عند المقرئين، وقد يكون الموضع وقفًا عند قارئ، وليس وقفًا عند قارئ آخر، أو في قراءة أخرى.

- من تمام الوقف والابتداء في علم القراءات معرفة كل قراءة.

- تدوين المقرئين كتب علم الوقف مثل نافع وحمزة وابن عامر ويعقوب، هذا يزيد الأهمية من أن نقف في علم الوقف والابتداء.

- القُراء لم يتحدوا في مذهب الوقف كما ذكرت نافع اختار طريقة وعاصم والكسائي وحمزة كل واحد له طريقه في الوقف والابتداء.

- قال ابن الجزري الذي يشترط في جامع القراءات أربع شروط ذكر منها: رعاية الوقف والابتداء، إذًا فلا بد أن نعرف الوقف والابتداء.

اتجاهات اختلاف القراءات:

اختلاف ألفاظ القراءات واتحاد المعاني، وهذا يتضح جليًّا في الأصول؛ مثلًا نقول: الصراط، والسراط، والصراط (بالإشمام) تختلف في الألفاظ لكن معناها كلها واحد.

(عليهِم وعليهُم عليهمُ) مختلفة في الألفاظ لكن معناها واحد، (الصابئين والصابين) معنى واحد، (وهزوا وهزُؤا وهزْؤا) اختلفت الألفاظ والمعنى واحد.

- اختلاف ألفاظ القراءات ومعانيها اختلاف تنوع لا يختص بالفرش، اختلافها اختلاف تنوع مثل: (واعدنا ووعدنا)، (تَرجِعون وتُرجَعون)، (نغفر لكم ويغفر لكم)، (خطيئه وخطيئاته) اختلاف لكن اختلاف تنوع.

ثالثًا: اختلاف ألفاظ القراءات ومعانيها اختلاف تغاير:

يختص بالفرش أيضًا يعني تختلف القراءة باللفظ والمعنى، يعني تكون كل قراءة من القراءات بمنزلة آية قائمة بنفسها؛ يعني مثلًا: نُنسها بالضم، وفي قراءة ننسأها بالهمز؛ أي نؤخرها البتة، أما ننسها بالضم من النسيان؛ أي: نجعلها تذهب من حفظك.

(ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم)، (ولا تَسأل عن أصحاب الجحيم) هنا يقول الطبري قراءة عامة القراء: (ولا تُسأل) ضم التاء من تسأل، ورفع اللام منها على الخبر، يعني يا محمد، إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا، فبلغ ما أرسلت به، وإنما عليك البلاغ والإنذار، ولست مسؤولًا عمن كفر بما جاءك من الحق، وكان من أهل الجحيم، وقرأ بعض أهل المدينة (ولا تَسأل) جزمًا بمعنى النهي، وفتح التاء وجزم اللام منها، ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا، لتبلغ ما أرسلت به، لا لتسأل عن أصحاب الجحيم؛ أي: لا تسأل عن حالهم؛ انتهى من كلام الطبري رحمه الله.

- مناهج القراء في تحديد مواضع الوقف تكلمنا فيه، فهو مراعاة الوقف من حيث رؤوس الآي، يقول العُمَّاني: والناس مختلفون في الوقف، فمنهم من قال الوقف على الأنفاس إذا انقطع النفس في التلاوة، فعنده الوقف كأنهم جعلوا الوقف تابع للمقاطع للأنفاس، وجعلوها الأصل والوقوف مبنية عليها.

وقال آخرون: الفواصل كلها مقاطع وكل رأس آية هو وقف، وقال ذلك العُمَّاني في المرشد، وهذه المذاهب في الوقف محل اتفاق بين نقلة الوقوف القراء من العمل عليها إجمالًا، ولكن نسبتها إلى القراء وتقسيمها بينهم هو ما حصل فيه الاختلاف بين علماء القراءات، يعني يقول أبو علي الأهوازي: والوقف عند أبي عمرو حيث يتم الكلام، وعند عاصم حيث يحسن الابتداء، وعند حمزة حيث ينقطع نفس القارئ، وعند الباقين حيث يحسن الوقف ويحسن الابتداء بما بعده، ونص قنبل عن ابن كثير الوقف في ثلاثة مواضع وقال: ونحن نقف على ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣]، هكذا قال قنبل، وقنبل هو يروي عن ابن كثير، ونص حفص عن عاصم الوقف في قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١]، والابتداء ﴿ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ ﴾ [الكهف: ٢]، وليس هو وقفًا مختارًا، وإلى آخر ما ذكره العلماء في اختلافاتهم.

- إذًا مختصر مذاهب أئمة القراء عند الوقف مجتمعة في أمرين:

١- حمزة كان يقف حيث انقطع نفسه.

وأبو جعفر وابن عامر وحمزة ويعقوب والكسائي وخلف، كانوا يراعون في وقوفهم حسن الوقف وحسن الابتداء، وذلك بأن يكون الكلام الأول منفصلًا من الثاني، والثاني منفصلًا من الأول، وهي إذًا مختلفة في أمور، فمثلًا ابن كثير اضطربت رواية عنه بين مراعاة رؤوس الآي مطلقًا، ويزيد عليها الوقف في المواضع الثلاثة التي ذكرتها، وهذا ما ذهب إليه أبو معشر الطبري، وذهب الأهوازي والشهرزوري وابن الجزري إلى أنه كان يتحرى هذه المواضع الثلاثة بالوقف، ولا يراعي غيرها، بمعنى أن الضابط عند تمكين النفس، وإن كان الراجح في هذا كما ذهب إليه ابن الجزري رحمه الله؛ لأنه ذكره عنه بنصه خلاف للأئمة المتقدمين، فقد جاءت حكايته في مذهب ابن كثير مرسلة من غير نص عنه، ولا إسناد إليه.

أبو عمرو البصري اضطربت عنه رواية أيضًا بين مراعاة لرؤوس الآي وبين مراعاة لحسن الوقف، وبين مراعاته حسن الابتداء.

عاصم متفق له على مراعاة محاسن الابتداء في الوقف على تمام الكلام، واختلف في حفص عنه، فزاد له الأهوازي والشهروزي في الوقف في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١]، وإنه يبتدئ بقوله تعالى: ﴿ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ ﴾ [الكهف: ٢].

الأمر الأول: مراعاة الوقف من حيث رؤوس الآي:

يعني يقف على رأس الآية؛ مثل: ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ ﴾ [الكهف: ١، ٢]، وهكذا.

طبعًا ذكرنا المذاهب في هذا، وقلنا: إنهم ذكروا أن الوقف على رؤوس الآي سنة، وذكر هذا البيهقي في شعب الإيمان، ورجَّحه، وذهب غيره إلى تفصيل الأمر.

يقول العُمَّاني في المذهب الوسط في ذلك والأغلب في رؤوس الآي: إنها وقوف وليس كل آخر آية وقف، بل المعاني معتبرة في سائرها والأنفاس تابعة لما شهد له المعنى باستحسان الوقف عليه، النفس يقطع حيث يحسن الوقف عنده من جهة المعنى.

الأمر الثاني: مراعاة الوقف من حيث اللفظ:

وهذا ما وضع العلماء لأجله مصطلحات الوقف، وفاوتوا بين مراقبة في التمام بحسب اعتبار التعلق والاستغناء، وجعلوا التعلق اللفظي أحد هذه الاعتبارات الذي يعلم لها اتصال جزئي الكلام، ومراعاة الإعراب في الوقف هي الباعث على وضع العلماء رحمهم الله تعالى قواعدَ الوقف الممنوع؛ لكيلا يفصل القارئ في التعلقات اللفظية فيُفسد المعنى في ذلك، أو يحول بين السامع وفهم مراد الله؛ كالفصل بين الفعل وفاعله ومفعوله، والمبتدأ والخبر، والحال وصاحبه، والمضاف وما يضاف إليه، واسم إن وخبره وهكذا.

وبسطه علماء الوقف في ذكرهم من لا يتم الوقف عليه، انظر ذلك الإيضاح، والقطع، الائتناف والمكتفى، والمرشد، والوقف والابتداء، ووصف الاهتداء كل هذه كتب ومؤلفات في الوقف والابتداء.

الأمر الثالث: مراعاة الوقف من حيث المعنى:

الباعث للعلماء على الكتابة والتدوين في علم الوقف وإظهار المعنى، وتشديته لسامع، وكما ذكرنا في توجيه القراءات أن المقصود المعنى والتدبر، وتدبر آيات الله عز وجل، وتدبر الكلمات، فالنظر في مراعاة معاني الكلمات يكون من وجهين وجه تتعلق فيه مواضع الوقف مع ما يليها من حيث الألفاظ، وتكون المعاني تبعًا لها في ذلك، كما سبق الإشارة في الوقف أنه تام وحسن وقبيح، وهكذا.

ووجهه الثاني وجه تتعلق فيه مواضع الوقف على ما يليها من حيث المعاني فقط، ولا تتصل في ذلك الألفاظ ولا تتعلق ببعضها، وهذا يسمى الوقف الكافي الذي يتعلق بما بعده تعلُّقًا معنويًّا، وهذا ما اصطلح عليه العلماء على حسن الوقف عنده، وحسن الابتداء بما بعده وهو كثير، فرؤوس الآي تجدها مثلًا في سورة الجن والمدثر والتكوير والانشقاق والانفطار وغيرها.

وسبب كفاية هذا النوع من الوقف هو حسن الوقف عليه وحسن الابتداء بما بعده، وهو أن الجملة الموقوف عليها تكون جملة قائمة بنفسها، ومستغنية عن غيرها، وتفيد معنًى صحيحًا يُكتفى به.

هذا الاصطلاح على حسن الوقف هو ما جعل بعض أهل العلم يخصص إطلاق العلماء لمنع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، ويُستثنى من ذلك إذا كان العطف قائمًا بين جملتين، معللين ذلك رحمهم الله بالتعريف بأن عطف الجملة على الجملة لا يلزم منه اتصالهما ليتم به المعنى، كما هو الحال في عطف المفرد على المفرد؛ لأن المفرد وحده إذا فصل على المعطوف عليه لا يتم به معنى، ولا يحسن السكوت عليه، بخلاف الجملة فإنها تؤدي معنًى مستقلًّا، سواء عطفت على جملة سابقة، أو استقلت بذاتها، فصارت على ذلك شبيهة بالاستئناف، انظر ذلك في مرسل العمال والزيادة والإحسان.

أنواع اختلاف القراءات التي يتأثر بها الوقف:

- هناك خلاف متعلق بالأفعال، والخلاف المتعلق بالأفعال ستجد البلاغة في كلمات القرآن؛ منها الالتفات في الأفعال من الغيب إلى الحضور، ومن الحضور إلى الغيب يتكلم بالضمير الغائب، ثم يلتفت مرة تجده يكلمك باللغة الحضور؛ كأنك حاضر الأمر.

- تعدد بناء الأفعال للمعلوم أو المجهول حسب القراءة.

- تردد الفعل بين الماضي والأمر حسب القراءة.

- عطف الفعل واستئنافه حسب القراءة، هذا بخصوص التعلق بالأفعال.

أما الخلاف المتعلق بالأسماء والحروف، فهو:

- اختلاف الحركات والأعاريب حسب القراءات.

- تعدد معاني الحرف حسب القراءة.

- وإبدال حرف مكان حرف حسب القراءة.

هناك التعلق الجمل والأساليب والعطف والاستئناف، والخبر والإنشاء، وتمام المعنى عند رأس الآية واتصاله بما بعده.

تجد أنت حين تقرأ الأمثلة في كتاب الله عز وجل، فإذا قرأت مثلًا من الالتفات في الأفعال من الغيب إلى الحضور، سنذكر مثلًا واحدًا لكل أمر بالمثال يتضح المقال كما يقولون، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٩].

اختلفت القراءة في قول الله تعالى: ﴿ تَسْتَطِيعُونَ ﴾، قرأ حفص وحده بالتاء، وقرأ الباقون بياء الغيب (يستطيعون)، قيل في معنى الآية على هذه القراءة أن صدر الآية خبر على تكذيب المشركين للمؤمنين، وخاتمتها إخبار الله للنبي صلى الله عليه وسلم بأن المشركين لا يستطيعون صرفك عن الحق الذي بعثت به، ولا يستطيعون نصر أنفسهم من بلاء التكذيب الذي ابتُلوا به، هذا في الالتفات.

- تعدد الأفعال للمعلوم أو المجهول حسب القراءة، قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، قرأها نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ببناء الفعل للمجهول (قُتِلَ)، وقرأها الباقون كقراءتنا (قاتل)، ذهب طائفة من أهل العلم إن الوقف على البناء للمجهول يكون عند (وكائن من نبي قتل)، ثم يستأنف القارئ بعد ذلك (معه ربيون كثير) إلى آخر الآية، أما من قرأ أما من قرأ للمعلوم، فلا يقف على (قاتل)؛ لأن المعنى غير تام، بل يواصل الآية إلى قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾.

- تردد الفعل بين الماضي والأمر؛ مثال: قال تبارك وتعالى: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٤]، قرأ ابن عامر وحفص (قال)، وقرأ الباقون (قل)، فمن قرأ بالماضي (قال) السياق لا يزال سرد للخبر المحكي (الذي قال له ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]، فأجابهم بقوله: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾ [الزخرف: ٢٤]، أما قراءة (قل) تحتمل أن تكون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فتقطع بذلك ما قبلها وتبدأ بها، فلا ترتبط بما قبلها.

وهكذا إلى آخر الأمثلة في علم الوقف والابتداء، هذا العلم ما شاء الله واسع وبحر خِضَم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

شبهات حول القراءات:

نزول القرآن على سبعة أحرف:

الشبهة الأولى:

يقولون: إن أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف تثبت الاختلاف في القرآن، مع أن القرآن نفسه يرفع الاختلاف عن نفسه؛ إذ يقول: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وذلك تناقض ولا ندري أيهما يكون الصادق.

الجواب:

إن الاختلاف الذي تثبته تلك الأحاديث غير الاختلاف الذي ينفيه القرآن، فالأحاديث الشريفة تثبت الاختلاف بمعنى التنويع في طرق أداء القرآن والنطق بألفاظه في دائرة محدودة، لا تعدو سبعة أحرف، وبشرط التلقي فيها كلها عن النبي صلى الله عليه وسلم.

أما القرآن، فينفي الاختلاف بمعنى التناقض والتدافع بين معاني القرآن وتعاليمه مع ثبوت التنويع في وجوه التلفظ والأداء السابق؛ مناهل العرفان.

الشبهة الثانية:

إن هذا الاختلاف في القراءات يوقع في شك وريب من القرآن، خصوصًا إذا لاحظنا في بعض الروايات معنى تخيير الشخص أن يأتي من عنده باللفظ وما يرادفه، أو باللفظ وما لا يضاده في المعنى.

الجواب:

إن اختلاف القراءات لا يوقع في شك ولا ريب، ما دام الكل نازلًا من عند الله، وأما هذه الروايات التي اعتمدت عليها الشبهة، فلا نسلم أنه يفهم منها معنى تخيير الشخص أن يأتي من تلقاء نفسه باللفظ وما يرادفه، بل

قصارى ما تدل عليه هذه الروايات أن الله تعالى وسع على عباده، خصوصًا في مبدأ عهدهم بالوحي أن يقرؤوا القرآن بما تلين به ألسنتهم، وكان من جملة هذه التوسعة القراءة بمترادفات من اللفظ الواحد للمعنى الواحد، مع ملاحظة أن الجميع نازل من عند الله.

يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «هكذا أنزلت»، وقوله تعالى لرسوله جوابًا لمن سأله بتبديل القرآن: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥]؛ مناهل العرفان.

الشبهة الثالثة:

إن نزول القرآن على سبعة أحرف ينافي ما هو مقرر من أن القرآن نزل بلغة قريش وحدها، ثم إنه يؤدي إلى ضياع الوحدة التي يجب أن تسود الأمة الواحدة بسبب اجتماعها على لسان واحد.

الجواب:

إنه لا منافاة ولا ضياع للوحدة، فإن الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن الكريم واقعة كلها في لغة قريش، فقد كانت مجمع لغات مختارة منتقاة من بين لغات القبائل كافة، وكان هذا سببًا من أسباب انتهاء الزعامة إليهم، ولو نزل القرآن بغير لغة قريش، لكان مثار مشاحنات وعصبيات، ولذهب أهل كل قبيلة بلغتهم، ولما اجتمع عليه العرب أبدًا، بل لو نزل القرآن بغير لغة قريش لراجت شبهتهم وافتراؤهم عليه، إنه سحر وكهانة؛ لأنه دخل عليهم من غير بابهم، فلا يستطيعون القضاء عليه، ولا إدراك الفوارق البعيدة بينه وبين الحديث النبوي؛ مناهل العرفان.

الشبهة الرابعة:

شبهة تنوع القراءات والرد عليها:

يقول المفتري: إن الحقائق التي تقر صراحةً بأنّ القران محرف.

من ذلك مثلًا لا حصرًا:

سورة آل عمران ١٤٦

رواية حفص: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾.

رواية قالون: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِئٍ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾.

أي الآيات هي الصحيحة؟ قُتِل معه أم قاتل معه؟ أليس هذا فرقًا كبيرًا في المعنى وفي الكلمة وفي الحرف؟ أليست كلمة قُتِل لها معنى مغاير تمامًا لكلمة قاتَل؟

أي القراءتين موجودة في اللوح المحفوظ؟ قُتِل أم قاتَل معه؟

الرد:

قضيَّة اختلاف القراءات هي أمر توقيفي من الله، وليست مجرَّد اختلاف بين البشر، وليست مجرَّد قضيَّة لغويَّة، أو لهجات فحسب كما يظنُّ البعض، بل هي بعض من الوحي تتجاوز اللغة واللهجات لتكون محلَّ إعجاز قرآني.

القرآن نزل على سبعة أحرف، يعني رسول الله قرأها بتلك القراءة وبتلك القراءة، والاثنين لها معنى قتل معه ربيون؛ أي مات في القتال معه وقاتل معه ربيون، فيعني شارك بالحرب معه، فالقراءتان أعطتا معنًى كاملًا للحادثة قاتل وقتل معه، ولو نزلت على لسان واحد لتساءل الناس: هل الذين قاتلوا معه قُتلوا أم لا، إذًا القراءات لا تُغير المعنى أو تُحرفه، ولكن جهله باللغة العربية والمعاني جعلهم يقولون هذا الكلام، لا ونزيدهم؛ قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ١٠]، قرأ حفص (يَكذبون)، بفتح الياء وسكون الكاف وكسر الذال، بمعنى يخبرون بالأخبار الكاذبة عن الله والمؤمنين.

وقرأ ورش (يُكَذِّبُون)، بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال المكسورة، بمعنى يكذبون الرسل فيما جاؤوا به من عند الله من الوحي.

معنى كل من القراءتين لا يعارض الآخر ولا يناقضه، بل كل منهما ذكر وصفًا من أوصاف المنافقين، وصفتهم الأولى بالكذب في الخبر عن الله ورسله وعن الناس، ووصفتهم الثانية بتكذيبهم رسل الله فيما أوحى إليهم من التشريع، وكلاهما حق.

وقوله تعالى في الفاتحة: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]، قرأ حفص (مَالِك)، بفتح الميم وكسر اللام، اسم فاعل من ملك، بمعنى القاضي المتصرف في شؤون يوم الدين، وهو يوم القيامة.

وقرأ ورش (مَلِك)، كصفة لا اسم فاعل، بمعنى فهو أعم من معنى (مالك)، أي: من بيده الأمر والنهي، ومقاليد كل شيء، ما ظهر منها وما خفي، وكلا المعنيين لائق بالله تعالى، وهما مدح لله عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ﴾ [الزخرف: ١٩].

قرأ حفص (عِبادُ الرحمن)، وعباد الرحمن المعنيين هنا بالطبع الملائكة، وقرأ ورش (وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن إناثًا..).

وهم كذلك في قراءة ورش ذاتُ المعنى وذاتُ الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، قرأ حفص (البرَّ أن بالنصب)، وقرأ ورش (البر بالرفع).

وقوله تعالى: ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

قرأ حفص ننشزها بالزاي المنقوطة بمعنى نقيمها ونحرِّكها، وقرأ ورش ننشرها بالراء بمعنى نحييها ونكسوها لحمًا.

وقوله تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٦].

قرأ حفص ولنجزين بالنون، وقرأ ورش بالياء، ولا اختلاف كما ترون في المعنى.

وقوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

قرأ حفص تسبح بالتأنيث، وقرأ ورش بالتذكير.

وقوله تعالى: ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر: ٥].

قرأ حفص والرجز فاهجر بضم الراء يعني الصنم، وقرأ ورش وغيره والرجز بالكسر يعني العذاب، ومعنى الكلام: اهجر ما يؤديك إلى عذاب، قال الزجاج: هما لغتان ومعناهما واحد.

قال تعالى: ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٦]، مِرفقًا بكسر الميم وفتح الفاء، وهناك في بعض المصاحف (مَرفِقًا) بفتح الميم وكسر الفاء.

«المرفق» بفتح الميم: ما ارتفقت به، أما القول: «المرفق» بكسر الميم، فأمَّا في اليدين فهو «مرفق» بكسر الميم، وفتح الفاء. فأعطت معنيين أوسع.

فنرى رأي العين أن القراءات كل منها ذكر وصفًا من أوصاف لشيء معين كانت الآية تتكلم عنه، وأن القراءات لا تعني اختلافات وتناقضات، وإنما مكملات ومجملات لغوية ولزيادة الإجمال.

مع العلم أن القراءات السبع كانت لكلمات محددة، وليس كل الكلمات في القرآن، وهذا إعجاز اختيار كلمات محددة لو غيرت التشكيل أو الزمن للفعل، لكان المعنى أوسع، وأعطى صورة أخرى أوسع عن الحادثة، أو الحكم أو الحالة، وجميع القراءات قرأها النبي، فمثلًا: النبي قرأ في سورة الفاتحة (ملك يوم الدين)، و(مالك يوم الدين) وهكذا بجميع القراءات.

الشبهة الخامسة:

﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِ ﴾ [الغاشية: ٢٢]، أظن أن هناك بعض الملحدين يشكك في كلمة مسيطر، إن بعضهم يكتبها بالصاد وبعضهم بالسين وكذلك بعض القراءات.

الجواب:

تفسير هذا يستند إلى أسس صوتية، ولغوية، وهو ما ذهب إليه جمهور علماء الرسم والعربية، وهو يتلخص في أن ما رُسِمَ من الكلمات المذكورة بالسين استند إلى الأصل اللغوي للكلمة، وما رُسِمَ منها بالصاد استند إلى النطق؛ لأن مجاورة السين لأحد أصوات الاستعلاء تجعله في النطق صادًا، وقد راعى كُتَّابُ المصاحف الأصل حينًا، كما راعوا النطق حينًا آخر.

قال المبرد في المقتضب (٢٢٥/١): إن السين إذا كانت مع أحد الحروف المستعلية في كلمة جاز قلبها صادًا، وقول ابن السِّيد البطليوسي في كتاب الاقتضاب (ص٢٠٣): وقد أجاز النحويون في كل سين وقعت بعدها غين أو خاء معجمتان، أو قاف أو طاء – أن تبدل صادًا.

هذا من جهة، أما من جهة أخرى، فكُتبت السين صادًا في أربع مواضع في القرآن الكريم، اثنان منها يجوز فيهما القراءة بالسين والصاد في رواية حفص الذي ضبطت عليها المصاحف، ولكن القراءة بالسين فيهما مقدمة على القراءة بالصاد؛ لذلك كتبت سين صغيرة فوق الصاد (تعذر علينا بيانها) لبيان هذا الترجيح في القراءة؛ وكان الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة ٢٤٥].

وكان الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف ٦٩].

وموضع ثالث يجوز فيه القراءة بالسين والصاد، والمقدم في الوجهين القراءة بالصاد، لذلك كتبت سين صغيرة تحت الصاد؛ وكان هذا الموضع في قوله تعالى: ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾ [الطور: ٣٧].

وموضع رابع يقرأ بالصاد على وجه واحد برواية حفص في قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢].

والسر في كتابة حرف السين صادًا يعود على معنى حرف السين والصاد في الاستعمال العربي؛ فالسين في الاستعمال العربي هي للتفلت، والتفلت خروج من أمر كان مستمرًّا فيه.

والصاد في الاستعمال العربي هي للامتناع، والامتناع يفيد رفض دخول شيء آخر إلى الشيء أو الخروج منه، ولذلك جاء في رسم الصاد صورة باطن فيها مقفل عليه، من ضمن سبعة حروف من حروف اللغة العربية، وهي حروف الإطباق الأربع: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، بالإضافة إلى الفاء، والقاف، والواو، وترجع العلة في رسمها بهذه الصورة إلى معانيها في الاستعمال العربي.

وقد جاء القبض والبسط في آية البقرة: ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ ﴾، بصيغة العموم وليس بالتخصيص؛ ليشمل ما يعلم وما لا يعلم.

فبعض البسط قد عرفه الإنسان، وما يجهله أكثر، أي ممتنع عن المعرفة لخفاء سره، فإنزال المطر، وإنبات النبات مثلًا، تتداخل فيهما عوامل كثيرة، عرف الإنسان بعضها، ويجهل كثيرًا منها، وبعضها مما لا يخطر على باله، ولن يدركه حتى يقف عليه إذا فتح له سبيل من الله تعالى لمعرفته.

فكانت صورة السين صادًا في هذا الموضع لبيان أن الوقوف على حدود البسط والقبض فوق قدرة البشر على الإحاطة بها.

ومثل ذلك موضع الأعراف: ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾، فإن هذه البسطة كانت في خلق غير محدد، هل كانت البسطة في خلق الأرض ومدها؟ أم كان في بسط السماء وتوسيعها، أم في بسط الدواب بزيادة حجمها وعددها، أم البسط كان في كمية الأمطار فأجرت الأنهار من كثرتها؟ أم ... أم ...، فالخلق في هذه الآية عام وغير محدد بنوع أو جنس.

فرسم السين صادًا ليدل أن معرفة الإنسان وإحساسه لم يحط ببسط كل الخلق بعد الطوفان، فعرف منها أشياءَ، وجهل باقيها.

أما كتابة السين سينًا في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة ٢٤٧]، فقد كان البسط في أمر مخصص ومحدد، وهو البسط في العلم والجسم، فلم تكتب السين صادًا.

وكذلك البسط في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت ٦٢]، فإن محدد بالرزق دون غيره.

أما كتابة السين صادًا في ﴿ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾، و﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾، فإن السيطرة تكون في الإحاطة بالمغلوب، ومنعه من الخروج، فكانت صورة صاد الامتناع بدلًا من سين التفلت هو الأمثل في تصوير الواقع.

أما قراءة هذه الكلمات الأربع بالسين والصاد، فقراءتها بالسين وهو الأصل لأن الجذر (سطر)، والسطر يقيد كتابة الكلمات عليه، ويقيد رسم الحروف عليه، لكنه يجعل لها هامشًا تتفلت فيه، فيكون بعضها تارة فوقه، وتارة تحته، أو عليه.

والحال مع المسيطر بالسين أنه يترك له هامش من الحرية.

أما كتابتها بصاد الامتناع، فتكون السيطرة كلية، مقيدة للمسيطر عليه، ليس لها هامش من الحرية، فكانت الصاد أكثر تمثيلًا لهذا الواقع، وأكثر ترجيحًا لقراءتها بالصاد بدل السين.

وبالقراءتين يكون الوصف لحالين تنعدم في أحدها الحرية بالمنع والسيطرة، وفي الثانية فيها بعض الحرية مع غلبة المنع عليها.

فاختلاف الرسم القرآني عن الرسم الإملائي، ينبهنا إلى معان نغفل عنها لولا هذا الرسم، وأن صورة الكلمة بحروفها يجب أن تكون مطابقة للمعنى المراد الذي من أجله تمَّ استحضارها، فنتعلم من الرسم ما نتعلم من صريح اللفظ، فهو للمؤمن نور ينتفع به، وللمشكك في صحته فتنة يهلك فيها.

فجهل الناس بعلوم اللغة واعتقادهم أنهم نطقوا أحرفها، فأصبحوا علماءَ فيها جعلهم يقعون ويخطؤون، ويعتقدون أنهم على حق وهم ليسوا كذلك.

الشبهة السادسة: عدم تواتر القراءات:

زعم بعض من لا علم له في القراءات، ولم يمهر فيها بأنها غير متواترة؛ لأنها منقولة بأسانيد آحاد، ولا يستطيع أحد أن يثبت تواترها، والبعض أثبت التواتر في القراءات السبع ونفاه عن القراءات الثلاث المتممة للعشر.

الجواب:

التواتر: هو أن ينقل الكلام جماعة تحيل العادة اجتماعهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه.

وهذا المعنى متحقق في القراءات العشر؛ إذ رواها عددٌ كبير من الصحابة، ورواها عنهم التابعون ومن تبعهم، ولم تخل الأمة في عصر من العصور ولا في مصر من الأمصار عن جم غفير ينقل القراءات ويرويها بالإسناد المتصل، وأما الطعن في تواتر القراءات الثلاث، فمردود أيضًا؛ لأنها لا تخرج عن القراءات السبع إلا في حروف يسيرة، وقد ذكر ابن الجزري رحمه الله أسماء عدد من أئمة القراءة قرؤوا بالقراءات الثلاث من زمنه إلى أن وصل إلى الأئمة الثلاثة، وعددهم في كل طبقة لا يقل عن الحد الأعلى للتواتر، وأئمة القراءات الثلاث تلقوا القراءة عن أئمة القراءات السبع، فإذا تواترت السبع لزم من تواترها تواتر الثلاث.

ونسبة القراءات إلى الأئمة لا تعني أنه لم يرويها غيرهم، بل قد رواها كثيرون غيرهم، ولكنهم كانوا أبرز القراء وأكثرهم إتقانًا وملازمة للقراءة التي رويت عنهم مع الثقة والعدالة وحسن السيرة، ولذلك نسبت إليهم.

وبهذا يتبيَّن لنا أن هذه الشبهة في غاية السقوط، والله تعالى أعلم.

الشبهة السابعة: مصدر اختلاف القراءات هو رسم المصحف:

وذلك أن خلو رسم المصحف من النقط والشكل بالإضافة إلى ما في رسم المصحف من حذف وزيادة وإبدال، هو الذي جعل القراء يختلفون فيما بينهم، فمنهم من يقرأ (فتبينوا) ومنهم من يقرأ (فتثبتوا)، وغير ذلك.

الجواب: هذه الشبهة الباطلة يكذبها الواقع، وذلك أن هناك كلمات كثيرة جدًّا لو كان المرجع في اختلاف القراءات إلى الرسم لاختلفوا فيها، ولكنك تجدهم متفقين على قراءتها بوجه واحد رغم احتمال رسمها لأكثر من قراءة.

ولو تتبعنا أسانيد القراءات كلها، لوجدناها تصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكل قارئ يقرأ وَفق ما تلقاه من شيخه حتى يصل الإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمرجع الاختلاف إذًا ليس الاعتماد على الرسم، وإنما على التلقي والمشافهة، ولما كتب عثمان المصاحف أرسل مع كل مصحف قارئًا ليقرئ الناس، ولو جاز استخراج القراءات المختلفة من الرسم لما احتاج أن يرسل مع كل مصحف قارئًا معلمًا.

ولو كان خلو المصاحف من الشكل والنقاط هو السبب في تنوع القراءات واختلافها، لكانت كل قراءة يحتملها رسم المصحف صحيحة معتبرة قرآنًا، وواقع الأمر ليس كذلك، إذ إن القراءات القرآنية من جهة قبولها تنقسم إلى أقسام؛ فهناك القراءات مقبولة، وهناك القراءات المردودة، وهذا التقسيم الذي اعتمده أرباب هذا العلم يدلل على أن أي قراءة لا يُعتد بها، ولا تعتبر قرآنًا إلا إذا توفرت فيها شروط القبول الثلاثة، غاية ما في الأمر أن خلو المصاحف من النقط والشكل سبب معين للرسم لاستيعاب القراءات المختلفة في الكلمة والواحدة، وليس موجبًا لاختلاف القراءات أو مصدرًا من مصادرها، والله تعالى أعلم.

الشبهة الثامنة: جواز القراءة بالمعنى:

يزعم أصحاب هذه الشبهة أنه يجوز استبدال لفظ مكان آخر في القرآن الكريم إذا كان يؤدي المعنى نفسه، مستدلين بما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يقرئ رجلًا (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم)، وكان الرجل يقول طعام اليتيم، فقال له ابن مسعود: أتستطيع أن تقول طعام الفاجر، قال نعم، قال: فقُلْ.

الجواب: لو كانت القراءة بالمعنى حاصلة وجائزة، لكان بين أيدينا اليوم مئات المصاحف.

ولذهب الإعجاز البياني من القرآن؛ إذ كل لفظ فيه مقدر في موضعه لا يمكن أن يسد لفظ آخر مسده، وأما الأثر المروي عن ابن مسعود، فهو ضعيف لا يصح الاحتجاج به، يقول القرطبي: ولا حجة في هذا للجهال من أهل الزيغ أنه يجوز إبدال حرف من القرآن بغيره؛ لأن ذلك إنما كان من عبد الله تقريبًا للمتعلم وتوطئة منه للرجوع إلى الصواب، واستعمال الحق والتكلم بالحرف على إنزال الله تعالى وحكاية رسول الله صلى الله عليه وسلم).

الشبهة التاسعة: تناقض القراءات:

زعم المستشرق جولد زيهر: وجود تناقض بين القراءات في المعنى، واستدل على ذلك بتناقض القراءتين في سورة الروم (غُلِبت الروم) بالبناء للمجهول و(سيَغلبون) بالبناء للمعلوم، والقراءة الثانية (غَلبت الروم) بالبناء للمعلوم (سيُغلبون) بالبناء للمجهول.

الجواب: أن القراءة المتواترة في هذه الآية هي ﴿ غُلبت الروم ﴾ بالبناء للمجهول، أما القراءة الثانية، فهي قراءة شاذة غير متواترة، وبالتالي لا تصلح لمعارضة القراءة الأولى، ولا تعد قرآنًا أصلًا، ولن يجد جولد زيهر ولا غيره من المغرضين ما يمكن أن يكون مثالًا لتعارض القراءات، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرً ﴾ [النساء: ٨٢]، ومن يرجع إلى كتب التفسير وكتب توجيه القراءات، فسيرى ما في تلك القراءات من إعجاز.

الشبهة العاشرة: إقرار بعض الصحابة بوجود اللحن في كتابة المصحف:

يروى أن عثمان رضي الله عنه قال: (إن في القرآن لحنًا ستقيمه العرب بألسنتها)، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا ﴾ [النور: ٢٧].

إن الكاتب أخطأ والصواب حتى تستأذنوا، وعن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ (والمقيمين الصلاة والمؤتون)، ويقول هو من لحن الكتاب، وأن عائشة قالت لعروة بن الزبير عن قوله تعالى: ﴿ إن هذان لسحران ﴾ [طه ٦٣]، وعن قوله تعالى: ﴿ والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة ﴾ [النساء ١٦٢]، وعن قوله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصبئون ﴾ [المائدة ٦٩]، فقالت يا بن أخي، هذا من عمل الكتاب قد أخطؤوا في الكتاب.

روي عن أبي خلف مولى بني جمح أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة، فقال: جئت أسألك عن آية في كتاب الله كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها، قالت أَيَّةُ آية؟ قال: (الذين يؤتون ما آتوا)، أو الذين يأتون ما أتوا، قالت أيهما أحب إليك؟ قلت: والذي نفسي بيده لإحداهما أحب إليَّ من الدنيا جميعًا، قالت أيهما؟ قلت الذين يأتون ما أتوا.

فقالت: أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يقرؤها، وكذلك أنزلت ولكن الهجاء (حرف).

والجواب على هذه الشبهة:

١-أن هذه الأخبار كلها لم تصح عمن نسبت إليهم، فهي ضعيفة لا تستحق أن يرد عليها ومعارضة بما ثبت بالتواتر في قراءة القرآن.

٢-على فرض صحة الروايات المذكورة: فإن كلمة لحن تحمل على معنى (الوجه)، أو اللهجة؛ كما في حديث (اقرؤوا القرآن بلحون العرب)، وليس على معنى الخطأ.

٣- أن قول عائشة (الهجاء حرف) على فرض صحته هي بإسكان الراء وليس بتشديدها، فهي تريد أن تقول: إن الهجاء أي رسم المصحف حرف من الأحرف السبعة.

٤- أن هذه الرواية عن أم المؤمنين عائشة معارضة بما ورد من سؤالها عن هذا الموضع من سورة المؤمنون قد ورد في فيه حديث عائشة وسؤالها النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى الآية: (أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون)، قال: (لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم).

الشبهة الحادية عشرة: مخالفة بعض القراءات لقواعد العربية:

طعن عدد من علماء اللغة على بعض أوجه القراءات لمخالفتها المشهور من مذهبهم.

الجواب: إن موافقة اللغة العربية ولو بوجه فصيح أو أفصح، شرط من شروط القراءة المقبولة، فكون القراءة تخالف الوجه الأفصح في اللغة، لا يعني أنها تخالف اللغة بالكلية، وهناك فرق بين الأفصح والأصح، فالأفصح يعني المشهور؛ لأن اللغة واسعة فيها المشهور والضعيف والنادر والغريب، والأَولى بعلماء النحو أن يجعلوا القراءات المتواترة حجة على العربية وحاكمة عليها وأساسًا لها، لا أن يجعلوا قواعد اللغة أساسًا للقراءات.

والعجب كل العجب من بعض علماء النحو أنهم يثبتون لغة ببيت أو عبارة قد لا يعرف قائلها، ولا صدق ناقلها، ولا يثبتونها بالقراءات المتواترة التي نقلها أئمة القراءة، وعِلم الله سبحانه محيط باللغات كلها، وقد اختار منها لغة العرب لتكون لغة كتابه، فقال عن القرآن ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، فهل أحاط النحويون باللغة

أكثر من إحاطة الله سبحانه بها حتى يقولوا: هذا وجه لا يصح في اللغة مع أنه منقول بالتواتر؟ تعالى الله عن ذلك؛ انظر نشأة القراءات وشبهات وردود للمهندس زهدي جمال.

صور من حياة القراء:

عاصم بن بهدلة: عالم فاضل نحوي بارع فصيح ناجح تابعي، فيه خير وصلاح، قال أبو بكر بن عيَّاش: كان عاصم نحويًّا، فصيحًا إذا تكلَّم، مشهور الكلام؛ معرفة القراء الكبار ١/ ٩١، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٨.

وقال أيضًا: كان عاصم من أفصح الناس، مقدمًا في زمانه، مشهورًا بالفصاحة، معروفًا بالإتقان؛ "جمال القراء".

وقال شريك بن عبدالله القاضي: كان عاصم صاحب مدٍّ وهمز وقراءة شديدة؛ جمال القراء.

قال أبو بكرٍ شعبة بن عَيَّاشٍ: قال لي عاصمٌ: مرضت سنتين، فلما قمت قرأت القرآن، فما أخطأت حرفًا.

قال أبو بكر بن عيَّاش: قال لي عاصم: ما أقرأني أحد حَرْفًا إلا أبو عبدالرحمن السلميّ، وكان أبو عبدالرحمن قد قرأ على عليٍّ رضي الله تعالى عنه، وكنتُ أرجع من عند أبي عبدالرحمن، فأعرض على زرِّ بن حُبَيش، وكان زرُّ قد قرأ على عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال أبو بكر بن عيَّاش: فقلتُ لعاصم: لقد استوثَقْتَ لنفسك، أخذت القراءة من وجهين، قال: أجل؛ السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٧٠؛ جمال القراء ٢/ ٤٦١.٤٦٢.

وقال أحمد بن عبدالله العجلي: عاصم بن بَهْدَلة صاحب سُنَّة وقراءة، كان رأسًا في القرآن، قَدِمَ البصرة فأقرأهم؛ الثقات للعجلي٢/ ٦؛ معرفة القراء الكبار١/ ٩١؛ سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٨.

وقد كان من تعظيم التابعين له أنَّه كان إذا قَدِمَ من سفر قبَّل أبو وائل (شقيق بن سلمة) يده؛ "جمال القراء".

قال أبو بكر بن عيَّاش: دخلت على عاصم وهو في الموت، فأُغمي عليه، فأفاق، فقرأ: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]؛ معرفة القراء الكبار ١/ ٩٣؛ سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٠.

أبو جعفر يزيد بن القعقاع:

أبو جعفر يزيد بن القعقاع عالم فاضل ثقة إمام تابعي جليل، قال يعقوب بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري: كان إمامَ النَّاسِ بالمدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع؛ السبعة في القراءات ص٥٧؛ النشر ١/١٧٨.

ورُوِيَ أنَّه دخل على أمِّ سَلَمة زوج النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو صغير، فَمَسحتْ على رأسه ودعت له بالبركة؛ السبعة في القراءات ص٥٨؛ معرفة القراء الكبار ١/٧٣.

ورَوَى سليمان بن جمَّاز عنه أنَّه كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وهو صوم داود عليه السلام، واستمرَّ على ذلك مُدَّة من الزمان، فقال له بعض أصحابه في ذلك، فقال: إنَّما فعلتُ ذلك، أروِّض به نفسي لعبادة الله تعالى؛ "غاية النهاية".

ورُوِيَ أنَّه كان يصلِّي في جوف الليل أربعَ تسميات، يقرأ في كلِّ ركعة: بالفاتحة وسورة من طوال المفصَّل، ويدعو عقيبها: لنفسه وللمسلمين ولكلِّ من قرأ عليه، وقرأ بقراءته بعدَهُ وقبلَه؛ "غاية النهاية".

عن نافع بن أبي نُعَيْم قال: كان أبو جعفر يقوم الليل، فإذا أصبح جلس يُقْرِئ النَّاس، فيقع عليه النُّوم، فيقول لهم: خذوا الحصا فَضَعُوه بين أصابعي ثم ضمُّوها، فكانوا يفعلون ذلك؛ "معرفة القراء الكبار" ١/٧٣.

ورَوى عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال: قال رجل لأبي جعفر مولى ابن عيَّاش، وكان في دينه فقيهًا وفي دنياه أبلهَ، هنيئًا لك ما آتاك من القرآن، فقال: ذاك إذا أحللتُ حلاله، وحرَّمتُ حرامَهُ، وعملتُ بما فيه؛ "معرفة القراء الكبار ١/٧٤.

روي عن سليمان بن جماز –راوي الإمام أبي جعفر– : شهدت أبا جعفرٍ حين حضرته الوفاة، فجاءه أبو حازمٍ الأعرج، ومشيخة معه كانوا من جلسائه، فانكبوا عليه يصرخون، فلم يجبهم، فقال شيبة: ألا أريكم عجبًا؟ قالوا: بلى، قال: فكشف عن صدره، وإذا دوارةٌ بيضاء مثل اللبن، فقال أبو حازمٍ وأصحابه: هذا والله نور القرآن.

وقال نافعٌ: لما غُسِّل أبو جعفر القارئ بعد وفاته نظروا، فإذا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف، فما شكَّ أحدٌ ممن حضر أنه نور القرآن.

الإمام نافع:

وكان الإمام نافع رحمه الله إذا تكلم يُشمُّ من فِيهِ رائحة المسك، فسئل: أتتطيب كلما قعدت تقرئ الناس؟ قال: ما أَمَسُّ طيبًا، ولكني رأيت فيما يرى النائم النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يقرأ القرآن في فيَّ، فمن ذلك الوقت أشمُّ في فيَّ هذه الرائحة.

وقال المسيَّبيُّ: قيل لنافع: ما أصبحَ وجهك وأحسن خلقك، قال: كيف لا أكون كذلك، وقد صافحني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه قرأت القرآن في النوم.

الإمام قالون:

وقال أبو محمد البغدادي عن قالون: كان قالون أصمَّ شديد الصمم، لا يسمع البوق، فإذا قرئ عليه القرآن سمِعه.

وكان قالون يُقرأ عليه القرآن، فينظر إلى شفتي القارئ، فيفهم خطأه إن أخطأ، فيردَّ عليه اللحن والخطأ في القراءة.

الإمام أبو عمرو:

كان أبو عمرو البصري صاحب زهدٍ وتقوى، يراقب الله ويخشاه، وقد استمر مدة طويلة يختم المصحف في كلِّ ثلاث ليالٍ، وعليه قرأ عبدالله بن المبارك، والخليل بن أحمد، والأصمعي، وسيبويه، وغيرهم.

وكان قد نقش على فصِّ خاتمه هذا البيت:

وإنَّ امرأً دنياه أكبرُ همِّه= لمستمسكٌ منها بحَبلِ غرورِ

الإمام شعبة:

قال يحيى اليماني: لما حضرت الوفاة أبا بكر بن عياش بكت أخته، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة!

الإمام حمزة:

وهذا الإمام حمزة الزيات، شهِد له العلماء بالفضل والعلم، وكان شيخه الأعمش إذا رآه مقبلًا يقول: هذا حبر القرآن، ورآه يومًا مقبلًا، فقال: وبشِّر المحسنين.

ورُوي عن سفيان الثوري: ما قرأ حمزة حرفًا من كتاب الله إلا بأثر.

الإمام الكسائي:

قال بعض العلماء عن الإمام الكسائي: كان الكسائي إذا قرأ القرآن أو تكلم، كأن ملكًا ينطق على فِيهِ.

الإمام ابن عامر:

وقال خالد بن يزيد: سمعت عبدالله بن عامر اليحصبي يقول: ولدت سنة ثمان من الهجرة في البلقا بضيعة يقال لها رحاب، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليَ سنتان، وذلك قبل فتح دمشق وانقطعت إلى دمشق بعد فتحها وليَ تسع سنين.

قلتُ: أي الإمام ابن الجزري: وهذا أصح من الذي قبله لثبوته عنه نفسه؛ غاية النهاية لابن الجزري، ١/٤٢٥.

قال أبو علي الأهوازي: كان عبدالله بن عامر إمامًا عالِمًا، ثقة فيما أتاه، حافظًا لما رواه، متقنًا لما وعاه، عارفًا فهمًا، قيمًا فيما جاء به، صادقًا فيما نقله، من أفاضل المسلمين، وخيار التابعين، وأجلة الرَّاوين، لا يُتَّهم في دينه، ولا يشكُّ في يقينه، ولا يُرتَاب في أمانته، ولا يُطعن عليه في روايته، صحيحٌ نقلُه، فصيحٌ قولُه، عاليًا في قدره، مُصيبًا في أمره، مشهورًا في علمه، مرجوعًا إلى فهمه، ولم يتعدَّ فيما ذهب إليه الأثر، ولم يقل قولًا يخالف فيه الخبر، ولي القضاء بدمشق.

قال ابن الجزريُّ: ولا زال أهل الشام قاطبة على قراءة ابن عامر تلاوة وصلاة وتلقينًا إلى قريب الخمسمائة؛ "غاية النهاية لابن الجزري" ١/٤٢٤.

كان رئيس أهل المسجد الأموي زمن الوليد بن عبدالملك وبعده، وكان مجلسه من الجامع الموضع المعروف بالروضة.

وكان إمام الجامع، وهو الذي كان ناظرًا على عمارته حتى فرغ.

وقد كان أبو الدرداء إذا صلى الصبح في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، ويجعل على كل عشرة منهم عريفًا، ويقف هو قائمًا في المحراب يرمقهم ببصره، وبعضهم يقرأ على بعض، وكان ابن عامر عريفًا على عشرة، وكان كبيرًا فيهم، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر، وقام مقامه؛ جمال القراء ٢/٤٥٤،٤٥٧؛ معرفة القراء ١/٨٤؛ غاية النهاية ١/٤٢٥؛ سير أعلام النبلاء ٥/٢٩٢.

قال أحمد بن عبدالله العِجلي: ابن عامر شامي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات.

قال أبو حاتم: سُئِل أبو زرعة الرازي عنه، فقال: مديني قد أدرك النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو ثقة صغير.

وقد روى له مسلم حديثًا، والترمذي آخر، وهو قليل الحديث عمومًا؛ معرفة القراء الكبار ١/٨٥، الثقات لابن حبان ٥/٣٧، الجرح والتعديل ٥/١٢٢، تهذيب التهذيب ٦/١٨٤.

توفي بدمشق في محرم يوم عاشوراء سنة (١١٨ هـ) في أيام هشام بن عبدالملك، رحمه الله تعالى؛ غاية النهاية، لابن الجزري ١/٤٢٤.

الإمام مجاهد:

مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم (٢١ - ١٠٣ هـ): تابعي جليل، شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير والقراءة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورُوي أنه ختم عليه القرآن تسعًا وعشرين مرة، قيل: إنه مات وهو ساجد، وقد روى له الجماعة؛ تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٢٨؛ معرفة القراء ١/ ٦٦؛ الأعلام للزركلي ٥/ ٢٧٨.

الإمام ابن كثير:

ابن كثير المكي عالم بليغ ثقة، قال سفيان بن عيينة: لم يكن بمكة أحد أقرأ من حميد بن قيس وعبدالله بن كثير، وقال ابن مجاهد: ولم يزل عبدالله هو الإمام المجتمع عليه في القراءة بمكة "غاية النهاية" ١/ ٤٤٥.

وقال ابن مجاهد أيضًا: لم أر أهل مكة يعدلون بقراءة ابن كثير قراءة أحد ممن كان في عصره، جمال القراء ٢/ ٤٤٩، قال علم الدين السخاوي: وذلك أنه اتَّبَع فاتُّبِع، وغيره ترك الاتباع فتُرِكَ اتباعُه.

وقد كان ابن كثير إذا أراد إقراء القرآن وعظ أصحابه، ثم أقرأهم لتكون قراءتهم القرآن على ما أثر فيها الوعظ من الرقة؛ جمال القراء ٢/ ٤٤٨.

ومن أراد الاستزادة، فعليه بالرجوع إلى معرفة القراء الكبار للذهبي، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، وكتب التراجم.

تطبيق عملي على سورة الفاتحة:

قرأ عاصم والكسائي كلمة "مالك" من قوله تعالى: "مالك يوم الدين"، بإثبات ألف بعد الميم على وزن فاعل، وهي القراءة التي تعوَّدنا على سماعها من قراء القرآن، في حين قرأها الباقون من القراء السبعة بحذف الألف فتكون "مَلِك" يوم الدين.

وقرأ قنبل "الصراط، وصراط" بالسين، وقرأ خلف عن حمزة بالصاد المشمَّة صوت الزاي، وقرأ خلاد بإشمام الصاد في (اهدنا الصراط المستقيم)، وقرأ الباقون بالصاد الخالصة مثلما يقرؤها كثير من الناس، وقرأ حمزة(عليهم) في قوله: "أنعمت عليهم" بضم الهاء، وقرأها الباقون بكسرها.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مصطلحات ومفاهيم وفروقات	٤
المراحل التي مرت بعلم القراءات	١٧
الأحرف السبعة والقراء العشر	٢٢
القراءات الشاذة وأصحابها	٣٥
أصول القراء	٤٢
المصحف العثماني وعلاقته بالقراءات	٤٨
توجيه القراءات	٥٧
الوقف وأثره في علم القراءات	٥٩
شبهات حول القراءات	٦٩
صور من حياة القراء	٨١
تطبيق عملي	٨٦

هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة

www.alukah.net